

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٧)	رمضان – شوال ١٤٣٦هـ
العدد السابع والثامن	يوليو – أغسطس ٢٠١٥ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تـالاب، بنـارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	**دار التاليف والترجمة** Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشــور لا يعبــر إلا عــن رأي كاتبــه

محتـــويــــــات الـعـــــدد

الافتتاحية

وضع اللغة العربية في المؤسسات التعليمية

(٢) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

ومجال التعليم هو الآخر يشكو من ضعف اللغة وتغلب العامية بل والأجنبية، فالقائمون بالتدريس – إلا من حفظ الله منهم – لا يبالون بالتحدث بلغة عربية سليمة فصيحة، وإنما تتنازعهم أخطاء لغوية ونحوية، وتتغلب عليهم اللهجات العامية، وهذا يؤثر على الناشئة والمتعلمين من الصغار والكبار، وتتقلب اللغة من سوء إلى أسوأ على مرور الأيام.

يقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم:

"مما يؤسف له أن نقرر أن معظم المدرسين مقصرون في هذا الواجب الذي تحدثنا عنه:

١ - فمدرسو اللغة العربية كثيرا ما يرخصون لأنفسهم في الحديث باللغة العامية.

٢ - ومدرسو المواد الأخرى قل أن يفيدوا التلاميذ أية فائدة لغوية، ومنهم من يعجزون عن تصحيح الأخطاء، بل ربما خطؤوا الصواب، وإذا عرضت مشكلة لغوية في غير حصة اللغة العربية نجد المعلم - لعدم إيمانه بوظيفته الحقيقية - إما أن يتهاون ويسمح بمرور هذه الأخطاء، وإما أن تبلغ به الاستهانة تعنيف التلميذ الذي يبدو منه الحرص على اللغة العربية." [١]

ويقول الدكتور أمين الخولي:

"حدق في المدارس والتعليم فيها، أولئك المدرسون للمواد المختلفة لايحسنون لغتهم، ولايحسنون الإبانة، فهم عوام في شرحهم وتلقينهم، وهم أشباه عوام في تاليفهم

[١] الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، لعبد العليم إبراهيم، ط٣، دار المعارف بمصر ١٩٩٦م ص:٥٤.

وعرضهم، وهم لا يلقون لتلاميذهم وطلابهم حقائق نيرة وبينة، وليس ذلك فحسب، بل هم يبرمون باللغة، ويتأففون ممن يرجو لديهم بيانا بها أو صحة تعبير، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة القومية." [١]

أمام هذا الموقف المتخاذل للغة العربية من قبل مدرسينا وبناة مستقبل حياة أبنائنا نرى أن الأمم والشعوب الأخرى، خاصة المتحضرة منها لاتسمح لمدرسيها النزول عن مستوى لغوي محدد في كل التخصصات، فقد"أصدر المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية في بريطانيا قرارا يقضي بأن على كل من يود أن يكون مدرسا سواء أكان مدرسا للفيزياء أو الرياضيات أو الاجتماع...الخ أن يكون مدرسا للغة الأم أولا، كما أن مدرس الرياضيات في فرنسا عند مايخطئ الطالب في أثناء حل المسألة الرياضية خطأ لغويا يقول له: إن خطأك في لغتك أدهى وأمر من الخطأ في الحل." [٢]

وليس بخاف على من له أدنى إلمام بشؤون التعليم بالدول العربية ما للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية الأخرى من السيطرة والنفوذ في معاهدها وجامعاتها.

وقد دلت دراسة تحليلية أجرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في عام ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م وشملت خمسة عشر قطرا عربيا، على ما يلي:

في مجال التعليم ما قبل الجامعي:

تعلم المواد العلمية والاجتماعية في المرحلتين الابتدائية والإعدادية باللغة الأجنبية في مدارس خاصة وتجريبية في قطرين، وتعلم المواد العلمية في المرحلة الثانوية والمواد الفنية والمهنية باللغة الأجنبية في ثلاثة أقطار.

وفي مجال التعليم الجامعي:

تدرس باللغة الأجنبية العلوم الأساسية كليا في ستة أقطار وجزئيا في خمسة أقطار، والعلوم الطبية كليا في سبعة أقطار وجزئيا في أربعة، والعلوم الهندسية كليا

---

[١] الأداء في اللغة العربية: أسباب الضعف ووسائل العلاج، مقال للدكتور محمود أحمد السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد(٧٣) الجزء (٣) ربيع الأول ١٤١٩ه ص: ٥٩٥.

[٢] المصدر السابق ،ص: ٦٠١.

في عشرة أقطار وجزئيا في ثلاثة، والعلوم الاجتماعية والإنسانية تدرس باللغة العربية كليا في ستة أقطار وجزئيا في ستة أخرى.

وهكذا يتبين أن الأرجحية في تدريس العلوم الأساسية: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان والعلوم التطبيقية أي الطب وطب الأسنان والصيدلة والتمريض والعلوم الهندسية بكل فروعها هي للغة الأجنبية، وتلحق بذلك الدراسات العليا والبحوث العلمية التي هي امتداد للتعليم الجامعي.

كذلك تحتل اللغة الأجنبية مساحة هامة في بعض الأقطار العربية في مجالات الثقافة والإعلام والإدارة والقضاء والمصارف والمال..." [١]

وفي لغة الإعلام المقروءة في هذا العصر قد شاعت ضروب من مخالفة لغة العرب في البيان عن أغراضهم من الوجوه اللغوية والنحوية والصرفية والاسلوبية.

وتصدى طائفة من المشتغلين باللغة لما شاع من أخطاء الكتاب فأفردوها بالتأليف، وأوسع ماكتب في هذا الباب وأجله – فيما أعلم - كتاب "معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة" للأستاذ محمد العدناني، وعدة مواد هذا المعجم (٢١٣٥) مادة تلقف كثيرا منها من الصحف والمجلات ومذيعي المذياع والتلفاز. [٢]

وقد قام أحد الباحثين بتصفح عددين متتاليين من مجلة عربية حديثة، فقرأ عناوينها، على مبدأ أن العنوان يدل على ما يمكن أن تقرأه في نص المقال. فسجل (٢٧) عنوانا، ثم خلص إلى نتيجة يذكرها بقوله:

"فإذا ألقينا نظرة إحصائية سريعة على هذا الجدول ألفينا أن نصيب الفصحى من هذه العناوين هو خمسة عنوانات، أي ما نسبته ٥و١٨٪ من مجموع العناوين، ولو افترضنا أن بعض هؤلاء الكتاب ينتهجون منهج توفيق الحكيم في مسرحيته (الصفقة)

---

[١] التعريب والمصطلح، مقال للأستاذ شحادة الخورى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : المجلد (٧٣) الجزء (٤) جمادى الآخرة ١٤١٩ه، ص:٨٠٣- ٨٠٤.

[٢] في وسائل الإعلام: ثقافة كتابها ولغتهم ، مقال للدكتور محمد أحمد الدالي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٤) الجزء (٣) ربيع الأول ١٤٢٠ه ، ص: ٥٣٣.

وقبلنا هذا الافتراض على سبيل التساهل وتحرينا عن العنوانات التي يمكن أن تقرأ بالفصحى والعامية على حد سواء لأمكننا أن نحصي – تساهلا - خمسة عنوانات أخرى فقط...فيصبح مجموع نسبة العنوانات الفصيحة ٣٧٪، أما نسبة العناوين العامية فترتفع إلى ٦٣٪. وأما النسبة الدقيقة لهذه العناوين فهي أعلى بكثير، ذلك أنها ترتفع لتبلغ ٥و٨١٪. "[١]

أما أجهزة الإعلام المرئية التي هي أكثر وسائل الإعلام انتشارا وأقواها تأثيرا على الصغار والكبار على حد سواء فأمر اللغة العربية فيها أدهى وأمر، ودورها في إضعاف هذه اللغة أو إفسادها أكبر، إذ غدت هذه الوسائل مدرسة المجتمع ومعلمة الصغار والكبار، تخاطب القريب والبعيد، وتفرض سلطانها على العامي والمثقف. والحديث عن أنواع فساد اللغة أو إفسادها في هذه الوسائل طويل شائك، قد يخرجنا بعيدا عن موضوعنا الذي له حدود محدودة، ولذلك نكتفي بإشارات خاطفة وتعديد لأهم نماذج العبث باللغة فيها، فهي - على سبيل المثال لا الحصر - كالآتي:

- انتشار اللهجات العامية
- شيوع اللحن والخطأ في أساليب العربية الفصيحة
- استعمال الألفاظ الأجنبية الغامضة الدلالة على الإنسان العربي
- استعمال الألفاظ والتراكيب العامية السوقية المبتذلة المفعمة بأخطاء اللغة والنحو والصرف
- أخطاء تدل على التأثر بالترجمة الأجنبية الحرفية التي لاتوافق قواعد العربية
- استعمال العبارات الهجينة التي تتألف من كلمات عربية وأجنبية كتبت بأحرف عربية.

إلى آخر تلك الأخطاء التي خلقت لغة هجينة غير سوية وغير طبيعية، وجعلت اللغة العربية خليطا لاهوية له.

---

[١] العربية والقنوات الفضائية، مقال للأستاذ جورج صدقني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد (٧٤) الجزء(٣) ربيع الأول ١٤٢٠ه ،ص:٥٧٢- ٥٧٤.

هذا ما آل إليه أمر اللغة العربية في الدول العربية الناطقة بهذه اللغة، المعنية بحفظها وصيانتها عن الضياع والاندثار، في حين أننا نرى:

"أن بلدانا كثيرة تخصص أموالا طائلة كي تحافظ على لغتها نقية، ولكي توفر لها حصنا منيعا ضد احتمالات الغزو، وربما كان أوضح مثال على ذلك اليوم اللغة الفرنسية التي تحاول جاهدة الصمود في وجه الانتشار العالمي للغة الإنكليزية. وتضع فرنسا اليوم ميزانيات وخططا كي تحافظ على لغتها داخل فرنسا وخارجها. وفي باريس تصدر الأكاديمية الفرنسية باستمرار نشرات تحذر ضد استخدام الكلمات المستوردة، وفي مونتريال فإن مايسمونهم "شرطة اللغة" التابعين لحكومة كيبك يجولون الشوارع ويغيرون أسماع الشوارع والمحلات من الإنكليزية إلى الفرنسية، وقد أنفقوا ما يقارب (٦٠٠,٠٠٠) دولار على تغيير إشارة (STOP) أي "قف" بالإنكليزية إلى (ARRET) أي "قف" بالفرنسية..." [١]

"وأصدرت الحكومة الفرنسية قرارا يقضي بسجن كل فرنسي يستعمل اللغة الأجنبية، كلمات وتعابير وتراكيب وجملا، في كتابته أو في أحاديثه الرسمية، إذا كان لها ما يقابلها في اللغة الفرنسية..وفرضت عليه أن يدفع خمسين ألف فرنك فرنسي، أي مايعادل عشرة آلاف دولار أمريكي." [٢]

هذا هو موقفهم من لغتهم، موقف ينبئ عن الحزم والصمود والصلابة، وذاك موقفنا من لغتنا، موقف ينبئ عن الخذلان والإهانة والإسفاف..ولاحول ولاقوة إلا بالله.

(يتبع)

❖❖❖

[١] "دور اللغة العربية في مواكبة المصطلح الأجنبي في الإعلام المقروء" بحث للدكتورة بثينة شعبان، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد (٧٤) الجزء (٣) ربيع الأول ١٤٢٠ه، ص:٥٥٩.

[٢] الإعلان وتأثيره في اللغة العربية، مقال للدكتور عصام نور الدين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد (٧٣) الجزء (٤) جمادي الآخرة ١٤١٩ه، ص:٨٥٥.

توبة في رمضان

إبراهيم بن حمد المنصور

أحمد الله الذي قرب لنا أبواب الخير، وفتح باب التوبة لعباده، وأصلي وأسلم على رسول الله، وبعد:

فهذه كلمات جمعتها لكل من أراد تغيير حاله وفعاله ليرضي خالقه ويسعد في دنياه ومآله. أسأل الله أن ينفع بها قارئها والدال عليها. وأستغفر الله من الذنوب ظاهرها وباطنها.

توبة في رمضان

أخي الكريم!

أهنئك بقدوم هذا الشهر المبارك، شهر التوبة والمغفرة والعتق من النار .. شهر الخير والبركة .. شهر الجود والإحسان .. وأقول لي ولك ولكل مقصر مع ربه:

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصى ربه في شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصبر بعدهما فلا تصيره أيضا شهر عصيان

واتل الكتاب وسبح فيه مجتهدا فإنه شهر تسبيح وقرآن

أقبل .. فأقبل .. يا باغي الخير

قال صلى الله عليه وسلم: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة". (رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسن).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: "آمين، آمين، آمين" فقيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: "آمين، آمين، آمين"؟ فقال: "إن جبرئيل عليه السلام أتاني فقال: من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين" الحديث (رواه أحمد وهو صحيح).

نعم .... أقبل رمضان، فأقبل على ربك – الذي عصيته – متضرعا خاشعا، نادما باكيا ... وقل:

يا إله الكون إني راجع

ويا واهب الخيرات هب لي هداية فمـا عنـد فقدان الهداية نافع

أقل عثرتي عفوا ولطفا ورحمـة فما لجميل الصفح غيرك صانع

أخي إن لم يغفر لك، وتذرف عيناك، وينكسر قلبك أمام ربك في هذا الشهر .. فمتى إذن؟

أخي .. ألا ذرفت عينك من خشية ربك ولو مرة واحدة؟ ألا تشعر أن قلبك قريب من ربك في هذا الشهر؟ ألا تظن أنها فرصة لك لتزداد قربا وخشوعا ... وإنابة وخضوعا؟ وتكون بداية صادقة في الرجوع إلى الله تزداد بها صلة بالله؟ {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقاهم} (محمد: ١٧).

يا أيها الإنسان

ها هو الله سبحانه يعاتبنا فيقول: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} (الانفطار:٦).

نعم أيها الإنسان ما الذي غرك بربك حتى تجرأت على معصيته وتعديت حدوده؟ أهو تجاهل لنعمته؟! أم نسيان لرقابته وعظمته؟!

أنا الذي أغلق الأبواب مجتهدا على المعاصي وعين الله تنظرني

ما أحلم الله عني حين أمهلني وقـد تمـاديت في ذنبي ويسترني

أخي .. لا تنظر إلى صغر الخطيئة .. ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

أخي .. لا تجعل الله أهون الناظرين إليك

لك بشرى

ها أنا أقدم لك بشرى من ربك تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم} (الزمر: ٥٣). وقال: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما} (الفرقان: ٦٩، ٧٠).

يا له من فضل عظيم، ويا له من مكسب كبير، يبدل الله جميع سيئاتك حسنات . . . الله أكبر! إنه لا يفرط في هذا المكسب إلا جاهل أو زاهد في الفضل.

إذن فتب – أخي الحبيب – إن أردت هذا المكسب العظيم: {يبدل الله سيئاتهم حسنات}. ثم استمع إلى ما قاله حبيبك صلى الله عليه وسلم تشجيعا للتوبة: "لله أشد فرحا بتوبة عبده ...." الحديث (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي".

وقال صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها".

وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة تبحث عن ولدها في السبي فلما رأته احتضنته وألقمته ثديها،فقال صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه ملقية ولدها في النار؟" قالوا: لا، قال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها".

الله أكبر .. هل بعد هذا الفضل نتقاعس عن التوبة؟!! هل بعد هذا الجود نسوف في التوبة؟! اللهم سبحانك ما أرحمك، سبحانك ما ألطفك، سبحانك ما أجودك.

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت غفارا عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

صارح نفسك

ما الذي يمنعك من التوبة وسلوك طريق الصلاح؟ كأني بك تقول: الأهل والمجتمع والأصدقاء! أخشى أن أتوب ثم أعود! ذنوبي كثيرة فكيف يغفر لي! أخاف على أهلي ومالي!

فأقول: هل تظن أنك تقول ذلك عند ربك يوم تلقاه؟ لا والله .. بل هي عوائق موهومة وحواجز لا يحطمها إلا من خشي ربه.

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجساد

فكن ذا عزة بدينك وعزيمة صادقة على الخير والاستمرار عليه متوكلا عليه سبحانه، ثم تذكر رحمة ربك وسعة مغفرته.

أخي لو أتاك – في هذه اللحظة – ملك الموت فهل ترضى أن تقابل ربك على هذه الحال؟

أخي – عفوا – لا تتهرب من نفسك ومحاسبتها، فإن لم تحاسبها الآن فغدا في قبرك تندم، وحينها لا ينفع الندم.

الميلاد الجديد

اعلم أن التوبة ليست فقط مختصة بهذا الشهر، بل فيه وفي غيره من الشهور، ولكن ما يدريك فقد يكون ميلادك الجديد في شهر الخير والبركة، وقد يولد الإنسان مرتين: يوم يخرج من ظلمة رحم أمه إلى نور الدنيا، ويوم يخرج من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، فكن هو أنت.

وأوصيك – يا صاحبي – أن تلحق بالأخيار الذين ينفعونك حتى بعد موتك – بإذن الله – بدعائهم لك .. الحق بهم وصاحبهم في ذهابهم وإيابهم، اصبر معهم حتى تلاقي ربك، فحينها يقال لك ولهم: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} (الرعد: ٢٤).

قصة وموقف

كان مع الصالحين . . . ثم تركهم . . . بدأ يقصر في أمور دينه . . . وفي يوم من الأيام كان مسافرا للتنزه . . . وفي الطريق انقلبت السيارة . . . ثم كان الإنعاش . . . ثم . . . مات.

جاء الخبر المحزن . . . صلينا عليه . . . حُمل إلى قبره . . . وُضع في قبره . . . فاللبنات . . . فالتراب . . . لن يرجع . . . ذرفت الدموع . . . حزنت القلوب . . . حينها جلس أحد الصالحين – أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا – صديقه الأول . . . عند قبره مطأطأ رأسه يدعو له.

حينها عرفت مَن ينفع الإنسان من الأصدقاء بعد موته.

أخي .. احذر أن تكون ممن قال الله فيهم: {ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا} (الفرقان: ٢٧ – ٢٩).

قبل أن يغلق الباب

أخي الحبيب قبل أن يُغلق الباب حدِّد – الآن ولا تسوف – الطريق الذي تسير عليه ويكون منهجا لك في الدنيا والآخرة.

ويا لها من سعادة، ويا لها من فرحة يفرح القلب بها ويسعد حينما يرجع إلى ربه نادما ويلحق بركب الصالحين .. والله إنها السعادة التي لم يذقها إلا من جربها.

أخي في الله . . . إن كنت عزمت على التوبة والرجوع . . . والإنابة والخضوع . . . فاعلم أن لهذه التوبة شروطا لابد من وجودها هي:

١. الندم على ما فات.
٢. الإقلاع عن الذنب.
٣. العزم على عدم الرجوع، فإن عدت إليه فكرر التوبة إلى الله . . . ولكن ليكن عزمك صادقا.
٤. أن تكون التوبة قبل الغرغرة وقبل خروج الشمس من مغربها.

دعاء

اللهم لك الحمد كله أنت أوجدتني ورزقتني وجعلتني مسلما.

اللهم سبحانك قد عصيتك بنعمتك، سبحانك خالفتك مع عظمتك.

اللهم إن لم تغفر لي فمن يغفر لي؟ وإن لم ترحمني فمن يرحمني؟

اللهم لا رب لي سواك فأدعوه وأرجوه.

اللهم إني عائد إليك تائبا فبرحمتك ومغفرتك ولطفك لا تردني، واقبلني يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

اللهم مهما عظمت ذنوبي فرحمتك أعظم، ومهما كثرت خطاياي فأنت تغفر الذنوب جميعا.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم ردّنا إليك ردا جميلا ... برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

❖❖❖

الفقه الإسلامي

خروج النساء للعيدين

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن أم عطية قالت أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين، وذوات الخدور، فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم، وتعتزل الحيض عن مصلاهن، قالت امرأة: يا رسول الله! إحدانا ليس لها جلباب؟ قال: لتلبسها صاحبتها من جلبابها. متفق عليه.

قوله (عن أم عطية) بفتح العين وكسر الطاء، اسمها نسيبة بضم النون وفتح السين المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة. وقيل: بفتح أولها مكبرا، بنت الحارث. وقيل بنت كعب الأنصارية، بايعت النبي ﷺ، وكانت من كبار الصحابيات، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ كثيرا، تداوي الجرحى، وتمرض المرضى، تعد في أهل البصرة، وكانت جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت، لأنها شهدت غسل بنت رسول الله ﷺ، فحكت ذلك وأتقنت، فحديثها أصل في غسل الميت.

(أمرنا) مبني للمجهول للعلم بالآخر، وإنه رسول الله ﷺ. وفي رواية للبخاري: أمرنا نبينا (أن نخرج) بضم النون وكسر الراء من الإخراج أي إلى المصلى. (الحيض) بالنصب على المفعولية، وهو بضم الحاء وتشديد الياء المفتوحة، جمع حائض أي المباشرات بالحيض (يوم العيدين) قال المالكي: فيه إفراد اليوم، وهو المضاف إلى العيدين، وهو في المعنى مثنى. ونحو قوله: "ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما" يعني حيث أفرد الظاهر والباطن. قال ابن حجر: فلو روي الحديث بلفظ التثنية على الأصل لجاز أي جاز أن يقول يومي العيدين أو يومي العيد (وذوات الخدور) منصوب بالكسر كمسلمات عطفا على الحيض، والخدور بضم الخاء المعجمة والدال المهملة جمع خدر بكسرها وسكون الدال، وهو ستر يكون في ناحية البيت تقعد البكر وراءه، وقال

الجزري: الخدر ناحية في البيت، يكون عليها ستر، فتكون فيها الجارية البكر، وهي المخدرة أي خدرت في الخدر. وفي رواية: نخرج العواتق وذوات الخدور والحيض. والعواتق جمع عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك. وقيل: هي التي قاربت البلوغ، وقيل: هي الجارية التي قد أدركت وبلغت، فخدرت في بيت أهلها ولم تتزوج، سميت بذلك، لأنها عتقت عن خدمة أبويها، ولم يملكها زوج بعد. (فيشهدن) أي يحضرن (جماعة المسلمين ودعوتهم) أي دعائهم، وفي رواية يشهدن الخير ودعوة المسلمين. قيل: المراد بشهود الخير هو الدخول في فضيلة الصلاة لغير الحيض. وقوله: "دعوة المسلمين" يعم الجميع.

واستدل بقوله: "دعوة المسلمين" على مشروعية الدعاء بعد صلاة العيد، كما يدعى دبر الصلوات الخمس، وفيه نظر، لأنه لم يثبت عن النبى ﷺ دعاء صلاة العيدين، ولم ينقل أحد الدعاء بعدها، بل الثابت عنه ﷺ أنه كان يخطب بعد الصلاة من غير فصل بشيء آخر، فلا يصح التمسك بإطلاق قوله: "دعوة المسلمين" والظاهر أن المراد بها الأذكار التي في الخطبة وكلمات الوعظ والنصح، فان لفظ الدعوة عام، والله تعالى أعلم (وتعتزل الحيض عن مصلاهن) أي عن مكان صلاة النساء اللاتي لسن بحيض، يعني تنفصل وتقف في موضع منفردات غير مختلطات بالمصليات خوف التنجيس، والإخلال بتسوية الصفوف، وهو خبر بمعنى الأمر. قال في الفتح: حمله الجمهور على الندب، لأن المصلى ليس بمسجد، فيمتنع الحيض من دخوله. وقال ابن المنير: الحكمة في اعتزالهن أي في وقوفهن وهن لا يصلين مع المصليات إظهار استهانة بالحال، فاستحب لهن اجتناب ذلك – انتهى.

وفي رواية: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر من خدرها، حتى نخرج الحيض، فيكن خلف الناس، فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته. وفي رواية: فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، وفيه أن الحائض لا تهجر ذكر الله ولا مواطن الخير كمجالس العلم والذكر سوى المساجد. قال الخطابى: أمر جميع النساء بحضور المصلى يوم العيد لتصلي من ليس لها عذر وتصل بركة الدعاء إلى من لها عذر. وفيه ترغيب الناس في

حضور الصلوات ومجالس الذكر ومقاربة الصلحاء لينالهم بركتهم (قالت امرأة) هي أم عطية نفسها، كما تدل عليه رواية الشيخين (إحدانا) أي ما حكم واحدة منا (ليس لها جلباب) وقال القسطلانى: قوله: "إحدانا" أي بعضنا، مبتدأ خبره "ليس لها جلباب" أي كيف تشهد ولا جلباب لها، وذلك بعد نزول الحجاب. وفي رواية أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ والجلباب بكسر الجيم وسكون اللام وبموحدتين بينهما ألف، كساء تستتر النساء به إذا خرجن من بيتهن. وقال في القاموس: الجلباب كسِرْدَاب وسنمار القميص، ثوب واسع للمرأة دون الملحفة، أو ما يغطى به ثيابها من فوق كالملحفة، أو هو الخمار – انتهى. (لتلبسها) بضم التاء وسكون اللام وكسر الموحدة وجزم المهملة، أمر من الإلباس على سبيل الندب (صاحبتها) بالرفع على الفاعلية (من جلبابها) قال الحافظ: يحتمل أن يكون للجنس أي تعيرها من جنس ثيابها يعني تعيرها من ثيابها ما لا تحتاج اليه. ويؤيده رواية ابن خزيمة من جلابيبها. وللترمذي: فلتعرها أختها من جلابيبها. والمراد بالأخت الصاحبة. ويحتمل أن يكون المراد تشركها معها في ثوبها الذي عليها. ويؤيده رواية أبي داود تلبسها صاحبتها طائفة من ثوبها، يعني إذا كان واسعا. ويحتمل أن يكون المراد بقوله "ثوبها" جنس الثياب، فيرجع للأول. ويؤخذ منه جواز اشتمال المرأتين في ثوب واحد عند التستر. وقيل: إنه ذكر على سبيل المبالغة أي يخرجن على كل حال ولو اثنتين في جلباب – انتهى.

وفي الحديث من الفوائد أن من شأن العواتق المخدرات عدم البروز إلا فيما أذن لهن فيه. وفيه استحباب إعداد الجلباب للمرأة، ومشروعية عارية الثياب. وفيه امتناع خروج المرأة بغير جلباب. وفيه استحباب خروج النساء إلى شهود العيدين، سواء كن شواب أم لا، وذوات هيئات أم لا، قال الشوكانى: حديث أم عطية وما في معناه من الأحاديث قاضية بمشروعية خروج النساء في العيدين إلى المصلى من غير فرق بين البكر والثيب والشابة والعجوز والحائض وغيرها ما لم تكن معتدة أو كان في خروجها فتنة، أو كان لها عذر. وقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال: أحدها أن ذلك مستحب، وحملوا الأمر فيه على الندب، ولم يفرقوا بين الشابة والعجوز، وهذا قول

أبي حامد من الحنابلة والجرجاني من الشافعية، وهو ظاهر إطلاق الشافعي. القول الثانى: التفرقة بين الشابة والعجوز. قال العراقي: وهو الذى عليه جمهور الشافعية تبعاً لنص الشافعي في المختصر. والقول الثالث: أنه جائز غير مستحب لهن مطلقا، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد فيما نقله عنه ابن قدامة في المغني (ج ٢ ص ٣٧٥ – ٣٧٦) والرابع: أنه مكروه وقد حكاه الترمذي عن الثوري، وابن المبارك وهو قول مالك وأبي يوسف. وحكاه ابن قدامة عن النخعي ويحيى بن سعيد الأنصاري، وروى ابن أبي شيبة عن النخعي أنه كره للشابة أن تخرج إلى العيدين. والقول الخامس: أنه حق على النساء الخروج إلى العيد، حكاه القاضي عياض: عن أبي بكر وعلي وابن عمر، وقد روى ابن أبي شيبة عن أبي بكر وعلي أنهما قالا حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين. قال الحافظ وقد ورد هذا مرفوعا بإسناد لا بأس به، أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن المنذر من طريق امرأة من عبد القيس عن أخت عبد الله بن رواحة، والمرأة لم تسم، والأخت اسمها عمرة صحابية، وقوله: "حق" يحتمل الوجوب، ويحتمل تأكيد الاستحباب – انتهى.

قال الشوكاني. والقول بكراهة الخروج على الإطلاق رد للأحاديث الصحيحة بالآراء الفاسدة، وتخصيص الشواب يأباه صريح الحديث المتفق عليه وغيره – انتهى. قلت: ذهب الحنفية إلى كراهة الخروج للعيدين للشواب دون العجائز. قال ابن الهمام وتخرج العجائز للعيد لا الشواب – انتهى. قال القاري بعد نقل كلام ابن الهمام ما لفظه: وهو قول عدل، لكن لابد أن يقيد بأن تكون غير مشتهاة، في ثياب بذلة، بإذن حليلها، مع الأمن من المفسدة، بأن لا يختلطن مع الرجال، ويكن خاليات من الحلي والحلل والبخور والشموم والتبختر والتكشف ونحوهما مما أحدثن في هذا الزمان من المفاسد. وقد قال أبو حنيفة: ملازمات البيوت لا يخرجن – انتهى.

قلت: لا دليل على منع الخروج للعيد للشواب وذوات الهيئات مع الأمن من المفاسد مما أحدثن في هذا الزمان، بل هو مستحب لهن، وهو القول الراجح. وأما الاستدلال على كراهة خروج النساء إلى العيدين مطلقا بقول عائشة: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من الخروج كما منعت نساء بني اسرائيل، فمردود لوجوه ثمانية،

سردها ابن حزم في المحلى (ج ٤ ص ٢٠٠) وقد أوردنا بعضها في باب فضل الجماعة نقلا عن الفتح. قال الحافظ: وقد ادعى بعضهم النسخ فيه. قال الطحاوي: وأمره عليه السلام بخروج الحيض وذوات الخدور إلى العيد يحتمل أن يكون في أول السلام، والمسلمون قليل فأريد التكثير بحضورهن إرهابا للعدو. وأما اليوم فلا يحتاج إلى ذلك، وتعقب بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال. قال الكرماني: تاريخ الوقت لا يعرف. قال الحافظ: بل هو معروف بدلالة حديث ابن عباس أنه شهد خروجهن، وهو صغير، وكان ذلك بعد فتح مكة، ولا حاجة اليهن لقوة الاسلام حينئذ، فلم يتم مراد الطحاوي.

وقد صرح في حديث أم عطية بعلة الحكم، وهو شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم وطهرته، وقد أفتت به أم عطية بعد وفاة النبى ﷺ بمدة، ولم يثبت عن أحد من الصحابة مخالفتها في ذلك، وأما قول عائشة: لو رأى النبي ﷺ ما أحدث النساء الخ فلا يعارض ذلك لندوره إن سلمنا أن فيه دلالة على أنها أفتت بخلافه مع أن الدلالة منه بأن عائشة أفتت بالمنع ليست صريحة. وفي قوله: "إرهابا للعدو" نظر، لأن الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف. والأولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة، ولا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطريق ولا في المجامع – انتهى. وقال ابن قدامة بعد ذكر قول عائشة المذكور: وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع، وقول عائشة مختص بمن أحدثت دون غيرها. ولا شك بأن ذلك يكره لها الخروج، وإنما يستحب لهن الخروج غير متطيبات ولا يلبسن ثوب شهرة ولا زينة، ويخرجن في ثياب البذلة لقول رسول الله ﷺ: وليخرجن تفلات، ولا يخالطن الرجال بل يكن ناحية منهن – انتهى. (متفق عليه) أخرجه البخاري في مواضع ومسلم في العيدين بألفاظ مختلفة، واللفظ الذي أتى به المصنف للبخاري في باب "وجوب الصلاة في الثياب" من أوائل الصلاة، وأخرجه أيضا أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي (ج ٣ ص ٣٠٥-٣٠٦) وغيرهم.

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
من مطبوعات الجامعة السلفية، بنارس)

❖❖❖

من أخطاء صلاة العيدين

الشيخ وحيد عبد السلام بالي

(١) ترك الاغتسال للعيد:

من الناس من يهمل الاغتسال، والتنظف لصلاة العيد، وهذا خطأ، بل يستحب أن يغتسل للعيد.

فقد روى البيهقي بسند صحيح عن زاذان قال: سأل رجل عليا رضي الله عنه عن الغسل؟

قال: "اغتسل كل يوم إن شئت".

فقال: لا، الغُسل الذي هو الغُسل؟

قال: "يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر" [١].

(٢) عدم لبس أحسن الثياب يوم العيد:

من المسلمين من لا يلبس الجديد إلا بعد صلاة العيد، وهذا خطأ بل ينبغي أن يتجمل في صلاة العيد.

فقد روى الطبراني في "الأوسط" بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس يوم العيد بردة حمراء" [٢].

(٣) عدم أكل تمرات يوم الفطر قبل الخروج للصلاة:

من الناس من يخرج إلى المصلى يوم الفطر قبل أكل شيء، وهذا خطأ بل يستحب أن يأكل تمرات وترا قبل الخروج إلى المصلى.

---

[١] صحيح: رواه البيهقي وقال الألباني في "الإرواء" (١ / ١٧٦) سنده صحيح.

[٢] حسن: قال الهيثمي (٢ / ١٩٨): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. وقال الألباني في "الصحيحة" (١٢٧٩): إسناده جيد.

فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات [١] وفي رواية (يأكلهن وترا) [٢].

قال الترمذي رحمه الله: وقد استحب قوم من أهل العلم أن لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم شيئا، ويستحب له أن يفطر على تمر.

قال ابن قدامة رحمه الله: لا نعلم في استحباب تعجيل الأكل يوم الفطر اختلافا. اهـ

(٤) الأكل قبل الخروج للمصلى يوم الأضحى:

من الناس من يأكل قبل الخروج للمصلى يوم الأضحى، وهذا خطأ، بل ينبغي أن لا يفطر إلا بعد الصلاة.

عن بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي" [٣].

ورواه أحمد بلفظ "كان صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الفطر لم يخرج حتى يأكل، وإذا كان يوم النحر لم يأكل حتى يذبح" [٤].

(٥) العودة من نفس الطريق:

من الناس من يذهب إلى المصلى ثم يعود من نفس الطريق، وهذا يخالف السنة. فقد روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق" [٥].

(٦) الذهاب إلى المصلى راكبا لغير عذر:

ومنهم من يذهب إلى مصلى العيد راكبا، والأفضل أن يذهب ماشيا إلا لعذر كبعد مسافة ونحوها. فقد روى الترمذي وحسنه الألباني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من السنة أن تخرج إلى العيد ماشيا. وأن تأكل شيئا قبل أن تخرج" [٦].

---

[١] صحيح: رواه البخاري (٩٥٣).

[٢] صحيح: هذه الرواية علقها البخاري بصيغة الجزم ووصلها ابن خزيمة وأحمد بسند حسن بلفظ يأكلهن إفرادا.

[٣] حسن: رواه الترمذي (٥٤٢) وغيره وصححه الألباني.

[٤] حسن: رواه أحمد (٢١٩٦٤) بسند حسن.

[٥] صحيح: رواه البخاري (٩٨٦).

[٦] حسن: رواه ابن ماجه (١٢٩٦) والترمذي (٥٣٠) وحسنه، وحسنه الألباني.

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن، والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم، يستحبون أن يخرج الرجل إلى العيد ماشيا وأن يأكل شيئا قبل أن يخرج لصلاة الفطر.

قال الترمذي أيضا: ويستحب أن لا يركب إلا لعذر [١]. اهـ

(٧) ترك التكبير أيام العيدين:

قال تعالى عن عيد الفطر: {ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون} (البقرة: ١٨٥).

وقال تعالى عن الأضحى: {واذكروا الله في أيام معدودات} (البقرة: ٢٠٣).

وقت تكبير الأضحى من فجر عرفة إلى آخر ايام التشريق.

ثبت ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس [٢].

وفي الفطر من غروب شمس رمضان إلى قضاء صلاة العيد.

روى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن الزهري "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير" [٣].

(٨) تخصيص ليلة العيد بقيام:

إن قيام الليل مستحب في جميع ليالي السنة [٤] لاسيما في شهر رمضان، لما ثبت في "الصحيحين" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" [٥].

---

[١] سنن الترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في المشي يوم العيد.

[٢] صحيح: صحح أسانيدها الألباني في "الإرواء" (٣ / ١٢٥).

[٣] صحيح مرسل: قال الألباني: صحيح مرسل، وله شاهد صالح عن ابن عمر عند البيهقي (٣ / ٢٧٩)، إرواء (٣ / ١٢٣).

[٤] انظر رسالة "الأمور الميسرة لقيام الليل" للمؤلف.

[٥] صحيح: رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٦٠).

ويكون القيام أشد استحبابا في العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر لما ثبت في "الصحيحين" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" [١].

أما تخصيص ليلة بقيام ظنا منه أن لها فضلا على غيرها من الليالي بدون دليل شرعي، فهذا من البدع المحرمة.

ومن ذلك ما نراه من بعض الناس حيث يحرصون على قيام ليلتي العيدين ويذكرون في ذلك ثلاثة أحاديث:

١ – حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا: "من أحيا ليلة الفطر، وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب".

موضوع: رواه الطبراني في "الكبير، والأوسط" وفي إسناده عمر بن هارون البلخي.

قال عنه يحيى بن معين، وصالح جزرة: كذاب.

ولذلك قال الألباني في "السلسلة الضعيفة": موضوع.

٢ – حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعا "من قام ليلة العيدين محتسبا لله. لم يمت قلبه يوم تموت القلوب".

ضعيف جدا: رواه ابن ماجه (١٧٨٢) وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه.

ولذلك قال الألباني في "الضعيفة" (٥٢١): ضعيف جدا.

وقال العراقي: إسناده ضعيف.

وقال البوصيري: إسناده ضعيف لتدليس بقية.

٣ – حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعا: "من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة: ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر".

موضوع: قال الألباني – رحمه الله - : رواه نصر المقدسي في جزء من "الأمالي" (٢ / ١٨٦) وفيه عبد الرحيم بن زيد العمي.

---

[١] صحيح: رواه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

وقال يحيى بن معين: كذاب.

وفيه أيضا سويد بن سعيد وهو ضعيف.

قال ابن الجوزي رحمه الله: حديث لا يصح.

وقال الألباني رحمه الله في "السلسلة الضعيفة" (٥٢٢): موضوع. اهـ

فقد تبين مما مر أنه لم يثبت حديث صحيح في فضل إحياء ليلتي العيدين، وأن الأحاديث الواردة في هذا الباب كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة، ولا تنتهض للاستدلال بها على استحباب قيام هاتين الليلتين، وأن إحياء ليلتي العيدين ليس له فضل على غيرهما من الليالي، فمن كانت له عادة من قيام الليل فقام فيهما لله تعالى يصلي فهو خير وبركة، ومن تعمد قيامهما لاعتقاده مزيد فضل لهما. فهذا خطأ، وقد يكون بدعة.

(٩) الذهاب إلى المصلى صامتا:

يخرج بعض المسلمين إلى ساحة الصلاة صامتين لا يكبرون حتى يصلوا.

وهذا خطأ، والصحيح أن يكبر المسلم من حين يخرج من بيته حتى يصل إلى المصلى، رافعا صوته به، معلنا بهذا الشعار الإسلامي العظيم {ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب} (الحج: ٣٢).

فقد روى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن الزهري رحمه الله تعالى "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر يكبر حتى يأتي المصلى" [١].

قال نافع رحمه الله: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يغدو إلى العيد ويرفع صوته بالتكبير حتى يأتي المصلى [٢].

قال ابن أبي موسى رحمه الله: يكبر الناس في خروجهم من منازلهم لصلاتي العيد جهرا [٣].

---

[١] صحيح مرسل: قال الألباني في "الإرواء" (٣ / ١٢٣): صحيح مرسل وله شاهد عند البيهقي (٣ / ٢٧٩) من حديث ابن عمر.

[٢] حسن: رواه البيهقي (٣ / ٢٧٩) بسند حسن.

[٣] "المغني" (٢٥٦، ٢٦٢).

قال الإمام أحمد رحمه اله: يكبر جهرا إذا خرج من بيته حتى يأتي المصلى [١].

قال ابن قدامة رحمه الله: روى ذلك عن علي وابن عمر، وأبي أمامة، وأبي رهم، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢].

وهو قول: عمر بن عبد العزيز، وأبان بن عثمان، وأبي بكر بن محمد.

وفعله: النخعي، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلى.

وبه قال: الحكم وحماد ومالك وإسحاق وأبو ثور.

(١٠) الزيادة في التكبير ما ليس منه:

من الصيغ الواردة في التكبير:

"الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد" [٣].

"الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر وأجل، الله أكبر ولله الحمد" [٤].

أما ما يزيده بعض الناس أحيانا من قولهم:

"الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أنصار سيدنا محمد، وعلى أشياع سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا".

فإن هذه الزيادة الطويلة لم تثبت مرفوعة ولا موقوفة فيما أعلم.

والأولى الاقتصاد على التكبير الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأطهار.

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

---

[١] "المغني" (٢٥٦، ٢٦٢).

[٢] "المغني" (٢٥٦، ٢٦٢).

[٣] صحيح موقوفا: روه ابن أبي شيبة (٢ / ٢) والبيهقي (٣ / ٣١٥) وإسناده صحيح قاله في "الإرواء" (٣ / ١٢٦).

[٤] صحيح موقوفا: قال المحاملي: إسناده صحيح. فالأثران صحيحان موقوفان على ابن مسعود رضي الله عنه: راجع "الإرواء" (٣ / ١٢٦).

(١١) القول بأن صلاة العيد سنة لا يأثم تاركها:

اشتهر عند كثير من الناس أن صلاة العيد سنة لا يأثم تاركها، وبناء على هذا القول ترى بعضهم يصلي الفجر ثم ينام عن صلاة العيد، وهذا خطأ، بل الصحيح أنها واجبة يأثم تاركها إلا لعذر.

قال الكاساني الحنفي رحمه الله: روي عن الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله أنه تجب صلاة العيد على من تجب عليه صلاة الجمعة [١].

قال الدسوقي المالكي رحمه الله: قيل إنه فرض عين، وهو ما نقله ابن حارث عن ابن حبيب، وقيل إنه فرض كفاية، وحكاه ابن رشد في المقدمات [٢].

قال المرداوي الحنبلي رحمه الله: صلاة العيد فرض على الكفاية، وعنه فرض عين اختارها الشيخ تقي الدين [٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: صلاة العيد واجبة على الأعيان، وهو قول أبي حنيفة وغيره، وهو أحد أقوال الشافعي، وأحد القولين في مذهب أحمد.

وقول من قال لا تجب في غاية البعد، فإنها من أعظم شعائر الإسلام، والناس يجتمعون لها أعظم من الجمعة، وقد شرع فيها التكبير.

وقول من قال هي فرض على الكفاية لا ينضبط، فإنه لو حضرها في المصر العظيم أربعون رجلا لم يحصل المقصود، وإنما يحصل بحضور المسلمين كلهم كما في الجمعة [٤].

قال الألباني رحمه الله: الحق وجوب صلاة العيد لا سنيتها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها الرجال والنساء، والأمر يدل على الوجوب [٥]. اهـ ملخصا.

قال الشوكاني رحمه الله: صلاة العيد واجبة وجوبا مؤكدا على الأعيان لا على الكفاية. اهـ [٦].

❖❖

---

[١] "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" (١ / ٢٧٥).

[٢] "حاشية الدسوقي" (١ / ٣٩٦) نقلا عن جامع اختيارات ابن تيمية (١ / ٢٥٨).

[٣] "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (٢ / ٤٢٠).

[٤] "فتاوى ابن تيمية" (٢٣ / ١٦١، ١٦٢).

[٥] "تمام المنة" (٣٤٤).

[٦] "السيل الجرار" (١ / ٣١٥).

مواعظ وعبر

العـيـد لمن ؟

خالد أبو صالح

الحمد لله الذي شرع لعباده مواسم الفرح والسرور، والصلاة والسلام على خير نبي وأفضل رسول، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور، أمابعد:

أخي الحبيب! ها نحن قد ودعنا شهر رمضان بأيامه الفاضلة، ولياليه العامرة، وقد فاز في هذا الشهر من فاز بالرحمة والمغفرة والعتق من النيران، وخسر فيه من خسر بسبب الذنوب والعصيان، فيا ليت شعري! من منا المقبول فنهنيه، ومن منا المطرود فنعزيه؟!

عبودية العبد

ليس العيد كما يظن كثير من الناس أوقاتا ضائعة في اللهو واللعب والغفلة، بل شرع العيد لإقامة ذكر الله وإظهار نعمته على عباده، والثناء عليه سبحانه بها، وشكره عليها، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال سبحانه: {ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون} (البقرة:١٨٥). فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم به وعتقهم من النار، أن يذكروه ويشكروه، ويتقوه حق تقاته.

الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: إن كثيرا من الناس تضيع أوقاتهم في العيد بالسهرات والرقصات الشعبية، واللهو واللعب، وربما تركوا أداء الصلوات في أوقاتها أو مع الجماعة، فكأنهم يريدون بذلك أن يمحوا أثر رمضان من نفوسهم إن كان له فيها أثر، ويجددوا عهدهم مع الشيطان الذي قل تعاملهم معه في شهر الصيام.

عباد الله ! إن العيد شكر وليس فسقا، فاحفظوا أبناءكم وإخوانكم، وانظروا في ملابس زوجاتكم وبناتكم وأخواتكم التي أعدت للعيد، وألزموهن اللباس الشرعي، ولا تسمحوا بأي مخالفة للإسلام في هذه الملابس، وكونوا عونا لشباب الأمة على غض أبصارهم وحفظ فروجهم.

ومن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرته لذنوبه، أن يصوم بعد رمضان ستا من شوال، فيكون كمن صام السنة كلها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر" (رواه مسلم).

العيد لمن؟!

أخي الحبيب! العيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بخالقهم ومولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بفضله ومغفرته، كما قال تعالى: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} (يونس: ٥٨).

فالعيد لمن أطاع الله، والحسرة لمن عصاه، العيد لمن أحسن في نهاره الصيام، وأحيا ليله بالقيام. العيد لمن سهر على تلاوة القرآن، لا على الأغاني والألحان.

قال بعض السلف: ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه.

وقال الحسن: كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد.

إخواني، ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن طاعاته تزيد.

ليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب.

ليس العيد لمن حاز الدرهم والدينار، إنما العيد لمن أطاع العزيز الغفار.

فيا من يفرح في العيد بتحسين لباسه، ويوقن بالموت وما استعد لبأسه، ويغتر بإخوانه وأقرانه وجلاسه، وكأنه قد أمن سرعة اختلاسه. كيف تقر بالعيد عين

مطرود عن الصلاح؟ كيف يضحك سن مردود عن الفلاح؟ كيف يسر من يصر على الأفعال القباح؟ كيف لا يبكي من قد فاته جزيل الأرباح؟

احذر الغفلة

نظر بعض العلماء إلى الناس يوم الفطر وما هم عليه من الغفلة، وانشغالهم بما هم فيه من الطعام والشراب واللباس فقال: لئن كان هؤلاء أنبأهم الله عز وجل أنه قد تقبل منهم صيامهم وقيامهم، فقد كان ينبغي لهم أن يكونوا أصبحوا مشاغيل بأداء الشكر. ولئن كانوا يخافون أنه لم يقبل منهم، كان ينبغي لهم أن يكونوا أشغل وأشغل!!

أكل الحلال

قال أبو بكر المروزي: دخلت على أبي بكر بن مسلم يوم عيد، وقدامه قليل خرنوب يقرضه! فقلت: يا أبابكر! اليوم يوم عيد الفطر وأنت تأكل الخرنوب؟! فقال: لا تنظر إلى هذا، ولكن انظر إن سألني من أين لك هذا؟ أي شيء أقول؟

غض البصر

قال بعض أصحاب سفيان الثوري: خرجت مع سفيان يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا غض البصر!!

ورجع حسان بن أبي سنان من عيد فقالت له امرأته: كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال: ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت!

زكاة الفطر

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان، صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين" (متفق عليه) وزكاة الفطر

طهرة للصائم من اللغو والرفث، وإعانة للفقير على الفرح والسرور في يوم العيد، وهي واجبة على المسلم الحر العاقل وكذلك عمن تلزمه مؤونته.

أما وقت إخراجها فالأفضل أن يخرجها صباح يوم العيد قبل الصلاة، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين. ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فمن أخرها عن صلاة العيد لم تقبل منه.

أعياد المؤمنين

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: "إن الله أبدلكم يومين خيرا منهما، يوم الفطر ويوم الأضحى، (رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه). فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يوم الذكر والشكر والمغفرة والعفو.

وهناك عيد ثالث يتكرر كل أسبوع وهو يوم الجمعة، وليس للمؤمنين في الدنيا إلا هذه الأعياد الثلاثة.

أعياد مبتدعة

إذا تقرر أن أعياد المسلمين هي تلك الأعياد الثلاثة، تبين أن كل ما يطلق عليه اسم "عيد" سوى هذه الثلاثة فهو من الأعياد المبتدعة كيوم النيروز، ويوم المهرجان، ورأس السنة الميلادية (الكريسمس)، والمولد النبوي، وشم النسيم، وعيد الأم أو الأسرة وغير ذلك، فيحرم على المسلم الاحتفال بهذه الأعياد، ومشاركة أهلها أو تهنئتهم بها لكونها أعيادا مبتدعة أو منسوخة، وبعضها أعياد كفرية كأعياد اليهود والنصارى وغيرهم.

العيد آداب وأحكام

١. يحرم صيام يوم العيد لحديث أبي سعيد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين، يوم الفطر ويوم النحر". (متفق عليه).

٢. يشرع التكبير ليلة العيد ، ويبدأ من غروب شمس ليلة العيد ، ويستمر إلى صلاة العيد ، ويستحب أن يجهر الرجال بالتكبير في المساجد والأسواق والطرقات والبيوت اعترافا بالعبودية وإظهارا للفرح والسرور.

٣. لا بأس أن يهنيء المسلمون بعضهم بعضا بالعيد ، فإن ذلك من مكارم الأخلاق.

٤. يستحب التوسعة على الأهل والعيال في المأكل والمشرب والملبس دون إسراف أو تبذير ، ويستحب كذلك صلة الرحم وزيارة الأهل والأقارب والإخوان.

٥. ينبغي المحافظة على صلاة العيد وعدم إضاعتها، والسنة تأخير صلاة عيدالفطر ، حتى يتمكن المسلمون من توزيع زكاة الفطر.

٦. يستحب الغسل قبل الصلاة والتطيب والتجمل بلبس أحسن الثياب مع الحذر من إسبال الرجال ثيابهم فإنه محرم.

٧. من السنة الأكل قبل صلاة عيد الفطر ، وإخراج النساء والبنات حتى الحُيّض منهن ليشهدن العيد مع المسلمين، إلا أن الحيض يعتزلن المصلى.

٨. من السنة أن يخرج الإنسان إلى العيد ماشيا ، وأن يخالف الطريق الذي أتى منه، فيرجع من غيره، حتى يشهد له الطريقان وما فيهما من ملائكة يوم القيامة.

٩. صلاة العيد ركعتان، يفتتح الأولى بسبع تكبيرات غير تكبيرة الإحرام، والثانية بخمس تكبيرات غير تكبيرة القيام، وإذا سلم من الركعتين قام الإمام، فيخطب خطبتين يجلس بينهما كما في الجمعة.

١٠. لا تشرع النافلة قبل صلاة العيد أو بعدها.

١١. يستحب الخروج إلى المصلى خارج البلد لأداء صلاة العيد ، وعدم صلاتها في المساجد لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يتخذ منبرا في مصلى العيد.

مخالفات تقع في العيد

١. إحياء ليلة العيد بالصلاة والقيام والقراءة، واعتقاد أن لذلك فضلا على غيرها من الليالي.

٢. السهر ليلة العيد مما يؤدي إلى تضييع صلاة الفجر والعيد معا.

٣. اختلاط الرجال بالنساء في مصلى العيد وغيره، وخروج النساء إلى المصلى في كامل زينتهن وتبرجهن وتعطرهن!

٤. استقبال العيد بالغناء والرقص والمنكرات بدعوى إظهار الفرح والسرور.

٥. تخصيص يوم العيد لزيارة المقابر والدعاء للأموات.

٦. الإسراف والتبذير ولو كان في أمور مباحة.

فيا من عزم على المعاصي في شوال، أ للشهر احترمت أم لرب الشهر؟ ويحك! رب الشهرين واحد . . تقول: أصلح رمضان وأفسد غيره، وعزمك في رمضان على الزلل في شوال أفسد عليك رمضان.

من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ولى وانقضى، ومن كان يعبد رب رمضان فإنه باق أبدا.

أخي الحبيب!

إذا طالبتك نفسك بالمعاصي والمنكرات في شوال، فذكرها الوقوف بين يدي الكبير المتعال، يوم تشيب الرؤوس من الأهوال، لعل ذلك يكف الهوى والشهوات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

التوجيه الإسلامي

أعمال تُوصل إلى النار

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

هذه كلمة موجزة في "أعمال تقود إلى النار" أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف جيدا ما هي الأعمال والأفعال، التي تقود فاعليها إلى النار، لكي يتجنبها ويتوقاها، وينتهي عن ارتكابها، حتى لا يستحق بذلك دخول النار – أعاذ الله تعالى منها – مستمدا من الله تعالى التوفيق والسداد، والصواب والرشاد، فأقول وبالله التوفيق والعصمة:

من الأعمال التي توصل إلى النار ما يلي:

١ – إيذاء الجار: فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إيذاء الجار سواء كان بالقول أو بالفعل كما في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه". [١]

ووردت توجيهات نبوية كريمة ترغّب في الإحسان إلى الجار، ورعاية حقوقه، وصون كرامته، وتحرّم إيذائه سواء كان بالقول أو الفعل، ولذلك نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف بأن المسلم الكامل هو الذي لا يؤذي مسلما أبدا بقول ولا فعل كما في الحديث عن أبي موسى قال: قلت يا رسول الله! أي الإسلام أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" [٢].

فدل الحديث الشريف على أن الذي يؤذي المسلم ليس هو بمسلم، ومن لا يكون مسلما لا يدخل الجنة.

---

[١] رواه مسلم، باب بيان تحريم إيذاء الجار.

[٢] رواه مسلم، باب بيان تفاضل الإسلام الخ.

٢ – أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه ويتخذه أبا، وهو يعلم أنه غير أبيه، وأن يدّعي ما ليس له سواء تعلق به حق لغيره أم لا، فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من ترك الانتساب إلى أبيه وجحده فالجنة عليه حرام، ففي الحديث عن أبي ذر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادّعى ما ليس له فليس منا، وليتبوّأ مقعده من النار" [١] الحديث.

فدل الحديث الشريف على أن الرغبة عن الأب وجحوده موجب لدخول النار، وإنه لا يحل للمرء أن يأخذ ما حكم له به الحاكم إذا كان لا يستحقه.

فمن يأخذ ما ليس له ظلما بغير حق فالجنة عليه حرام للأحاديث الواردة في ذلك.

وعن سعد بن أبي وقاص يقول: سمع أذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام" [٢] الحديث.

٣ – تعمّد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن أنس بن مالك قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار" [٣].

دل الحديث الشريف على أن تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة يجب على رواة الحديث وناقليه الاجتناب من هذا الصنيع الشنيع، وإن هذا العمل موجب لدخول النار.

٤ – موت الرجل مشركا – فعن جابر – رضي الله عنه – أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار. [٤]

---

[١] رواه مسلم، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

[٢] رواه مسلم، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه الخ.

[٣] رواه مسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٤] رواه مسلم، باب الدليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .. الخ.

فدل الحديث الشريف على أن الخصلة الموجبة للنار هي الإشراك بالله.

٥ – أن يحمل الرجل على أخيه المسلم السلاح بغير حق ولا تأويل كما في الحديث عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا". [١]

فدل الحديث على أن الذي حمل السلاح على المسلمين بغير حق وتأويل ولم يستحله هو عاص خارج عن ملة الإسلام.

وكذلك من يغش المسلمين فهو ليس على الطريقة النبوية والهدي المحمدي. وقد حرّم النبي صلى الله عليه وسلم غش المسلمين وخديعتهم بأي طريق كان. كما في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صُبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس: من غش فليس مني". [٢]

٦ – ضرب الخدود، وشق الجيوب عند المصيبة، والدعاء بدعوى الجاهلية، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ضرب الخدود، وشق الجيوب عند المصيبة أشد النهي كما في الحديث عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: "ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية" [٣].

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن القاسم بن مخَيمرة حدثه قال: حدثني أبوبردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة". [٤]

---

[١] رواه مسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا السلاح فليس منا.

[٢] رواه مسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا.

[٣] رواه مسلم، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب الخ.

[٤] رواه مسلم، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب الخ.

فدل الحديث الشريف على أن حلق الشعر، وشق الثوب، ورفع الصوت بالبكاء عند المصيبة من الأعمال المحرمة والأفعال المحظورة في الإسلام الموجبة للنار.

٧ – النميمة: وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

فالذي يمشي بالنمية – أي ينم قول الغير إلى المقول فيه – لا يدخل الجنة دخول الفائزين السابقين كما في الحديث عن حذيفة أنه بلغه أن رجلا ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يدخل الجنة نمام". [1]

وإن المشي بالنميمة والسعي بالفساد من أقبح القبائح، ولذلك نرى أن الشارع عليه الصلاة والسلام حرم النميمة أشد تحريم. فعليك – أخي القارئ – الاجتناب من هذه الخصلة القبيحة المذمومة المحرمة في الإسلام – حفظنا الله منها – .

٨ – إسبال الإزار على وجه الخيلاء، والمن بالعطية، وترويج السلعة بالحلف الفاجر. فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسبل إزاره الذي يجرّ إزاره خيلاء، والمنان الذي لا يعطي شيئا إلا منه، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب لا يكلمه الله تعالى يوم القيامة، ولا ينظر إليه نظر رحمته ولطفه وعنايته، وله عذاب أليم كما في الحديث عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله! قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب". [2]

وكذلك يدخل النار رجل منع فضل الماء من ابن السبيل المحتاج إليه، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لأجل المال والدنيا، فإن حصل له مال وفى، وإن لم يحصل لم يفِ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه وهو

---

[1] رواه مسلم، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

[2] رواه مسلم، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار الخ.

على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه لم يف". [١]

وكذلك أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى لا يكلم يوم القيامة الشيخ الزاني، والسلطان الكذاب، والعائل المستكبر، ولا ينظر إليهم نظر الرحمة والعطف والعناية كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر". [٢]

٩ – أن يقتل الرجل نفسه سواء بحديدة، أو شُرب سم، أو التردّي من جبل، أو بأي طريقة كان، فالقاتل نفسه يدخل النار، وإنه يبقى فيها خالدا مخلدا أبدا.

كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا". [٣]

إن الانتحار من المعاصي الكبيرة والجرائم النكراء في الإسلام، والإناث أكثر فريسة لهذا العمل القبيح من الذكور لقلة صبرهن، وفزعهن وجزعهن، كما تفيد وكالة الأنباء الإحصائية. حفظ الله المسلمين والمسلمات من هذا العمل المحرّم الموجب للخلود في النار.

١٠ – الغلول – الخيانة:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الغالّ يدخل النار، كما في الحديث عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا إني رأيته في النار في بردة غلها، أو عباءة، ثم قال

---

[١] رواه مسلم، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار الخ.

[٢] رواه مسلم، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار الخ.

[٣] رواه مسلم، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه الخ.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون". [١]

فالمستفاد من هذا الحديث الشريف أن الغلول – الخيانة – محرّم في الإسلام، وأن الغالّ والسارق وكذا الخائن يدخل النار سواء كان المال المسروق قليلا أو كثيرا.

١١ – أخذ مال المرء المسلم بغير حق باليمين الفاجرة.

فعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله! قال: وإن قضيبا من أراك". [٢]

إن المستفاد من هذا الحديث الشريف أن اقتطاع حق الغير بغير حق مسلما كان أو كافرا محرم في دين الإسلام، وأنه لا فرق بين قليل الحق وكثيره، وأن مقتطع حق الغير ظلما يستحق النار.

١٢ – غش الوالي لرعيته:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ولي من أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم ولا ينصح دخل النار كما في الحديث عن الحسن قال: دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار وهو في وجع فسأله فقال: إني محدّثك حديثا لم أكن حدثتكه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يسترعي الله عبدا رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة" [٣] الحديث.

فالمستفاد من هذا الحديث الشريف أن غش الوالي رعيته محرم في الإسلام، وأن مثل هذا الولي لا يدخل الجنة معهم.

وأظن – والله أعلم – أن هذا الوعيد الشديد يدخل فيه أئمة المساجد، والمؤذنون، وزعماء القوم وكبراء القرية، وعظماء البلدة، والحكام والولاة والوزراء والرؤساء والوجهاء والأمراء والقواد، وكل من وسّد إليه أمر المسلمين إذا خانوا فيما

---

[١] رواه مسلم، باب غلظ تحريم الغلول الخ.

[٢] رواه مسلم، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

[٣] رواه مسلم، باب استحقاق الوالي الغاش النار.

اؤتمن عليهم، ولم يفوا بما عليهم من الحقوق والواجبات، ولم ينصحوا فيما قلدوه، ولم يجهدوا لهم.

١٣ – الكبر:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن المتكبر لا يدخل الجنة، كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس". [١]

١٤ – ترك الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من بلغه خبر رسالته ولم يؤمن بالذي أرسل به كان من أهل النار، كما في الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". [٢]

١٥ – الظلم:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من يشتم أخاه المسلم، أو يقذفه، أو يأكل ماله بغير حق، أو يسفك دمه، أو يؤذيه يدخل النار كما في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار". [٣]

---

[١] رواه مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه.

[٢] رواه مسلم، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[٣] رواه مسلم، باب تحريم الظلم.

فالمستفاد من هذا الحديث الشريف أن الذين يشتمون الناس، ويقذفونهم بما يجب عليه الحد، ويسفكون دمائهم، ويأكلون أموالهم ظلما بغير حق، يدخلون النار، ولا تنفعهم أعمال البر من الصلاة والصيام والزكاة والبر والجهاد والإطعام وصلة الأرحام والعتاقة وإفشاء السلام، وطيب الكلام شيئا.

١٦ – العداوة:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن أبواب الجنة تفتح يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا رجل كانت بينه وبين أخيه عداوة، فلا يغفر لهما حتى يرجعا إلى الصلح والمودة، كما في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا". [١]

١٧ – قطيعة الرحم:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن قطيعة الرحم من المعاصي الكبيرة، وأن القاطع لا يدخل الجنة في أول الأمر مع السابقين كما في الحديث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة قاطع". [٢]

١٨ – الكذبُ:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الكذب يسهّل للإنسان طريقا إلى النار، كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الصدق بر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار" [٣] الحديث.

إن الكذب من الخصائل المذمومة المحرمة في الإسلام، المبعدة عن الجنة، الموصلة إلى النار، فلا ينبغي لعبد مؤمن أن يتحرى الكذب، ويعامل الناس في أمور

---

[١] رواه مسلم، باب النهي عن الشحناء.

[٢] رواه مسلم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

[٣] رواه مسلم، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

الدنيا بالكذب، حتى يكتب عند الله كذابا، يكون المؤمن بخيلا ولا يكون كذابا كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم.

أخي في الله! اعلم أن الكذب لا يجوز إلا في ثلاث صور وحالات: (١) الحرب (٢)والإصلاح بين الناس (٣) وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها، كما في الحديث عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من المهاجرات الأُول اللائي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيرا أو ينمي خيرا، قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل إمرأته، وحديث المرأة زوجها. [١]

وترى إنسان اليوم يعتمد في الأمور والمعاملات كلها على الكذب إلا من حفظه الله، وترى أن الزعماء والفضلاء والكبراء أيضا مصابون بهذا الداء فضلا عن الجهال والعوام. حفظنا الله من هذا الداء الوبيل.

١٩ – أكل مال اليتيم ظلما:

أخبر الله تعالى أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بغير حق إنما يأكلون في بطونهم نارا، ويدخلون سعيرا، فقال: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا، وسيصلون سعيرا". [٢]

وقد وردت النصوص الشرعية الكثيرة تُنذر بغلظ تحريم أكل مال اليتيم ظلما، وتُرغّب في كفالته، ورعاية حقوقه، وصون كرامته، والإحسان إليه.

٢٠ – تعذيب الحيوان الذي لا يؤذي:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن امرأة عُذّبت في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من هوام الأرض وحشراتها كما في الحديث عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عذبت امرأة في

---

[١] رواه مسلم، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه.

[٢] سورة النساء: ١٠.

هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. [١]

دل الحديث على تحريم تعذيب الحيوان الذي لا يؤذي، وأن الذي يعذب الحيوانات التي لا تؤذي بأي طريقة كان يعذّب في النار.

٢١ – إظهار المرأة زينتها وجمالها:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن النساء التي تستر بعض بدنها وتكشف بعضها إظهارا لجمالها، أو تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها لا يدخلن الجنة، كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا. [٢]

إن المستفاد من هذا التوجيه النبوي الكريم أن النساء التي يلبسن ثوبا رقيقا يصف لون البدن، ويمشين متبخترات مميلات لأكتافهن لا يدخلن الجنة.

أخي القاريء! إذا سرّحت النظر هنا وهناك رأيت أن الفتيات إذا خرجن من رحالهن خرجن سافرات فاتنات بصوتهن وصورتهن، وإذا مشين في الطريق مشين متبخترات، مشين المشية المائلة، ورأيت إذا لبسن لبسن ثوبا رقيقا يظهر الجسد، وهن يفعلن كل ذلك متشبهات بالنساء المغربيات. وكذلك إذا سرحت النظر في الطرق والأزقة والشوارع والممرات وجدتها مزدحمة بالنساء، الشابات منهن، وجدت فيها النساء، النساء، يتجولن ويترددن ويتطوفن متبرجات سافرات فاتنات بصوتهن وصورتهن، مميلات مائلات مبديات زينتهن وجمالهن وبهائهن، يستلفتن أنظار الرجال الأجانب إليهن، كأن العصر الجاهلي قد عاد.

فأمثال هؤلاء الفتيات التي تراهن في مجتمعنا الحديث متبرجات لا يدخلن الجنة .... وفق الإرشاد النبوي الكريم.

---

[١] رواه مسلم، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي.

[٢] رواه مسلم، باب النساء الكاسيات العاريات الخ.

٢٢ – استعمال أواني الذهب والفضة في الأكل والشرب:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الذي يأكل أو يشرب في أواني الذهب والفضة إنما يأكل في بطنه نارا، كما في الحديث عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارا من جهنم. [١]

٢٣ – تصوير الحيوان:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المصورين هم أشد الناس عذابا يوم القيامة كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون. [٢]

ووردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تخبر بأن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، وإنهم يستحقون بذلك النار.

وإن تصوير الحيوان محرم شرعا، وإنه شديد التحريم، وأما تصوير غير الحيوان كالشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به، وسواء الشجر المثمر وغيره. [٣]

٢٤ – أخذ حق الغير ظلما:

فعن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار". [٤]

الحديث فيه دليل على أن الذي يأخذ حق الغير ظلما وهو يعلم أنه غير حقه إنما يأخذ قطعة من النار.

---

[١] رواه مسلم، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب الخ.

[٢] رواه مسلم، باب تحريم تصوير صورة الحيوان الخ.

[٣] شرح مسلم للنووي ٢ / ٢٠١، ٢٠٢.

[٤] رواه مسلم، باب اليمين على المدعى عليه.

٢٥ – الإكثار من اللعن، وكفران العشير:

فعن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة، وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير. [(١)] الحديث.

فدل الحديث الشريف على أن اللعن وكفران العشير موجب لدخول النار، عافانا الله منها وأعاذنا.

إني أرى أن من عادة النساء في كل زمان أنهن يكثرن اللعن والسب والشتم لأمر تافه، ويسببن كذلك الدهر إذا خالف طباعهن، حفظهن الله من هذا الداء الوبيل.

٢٦ – منع الزكاة:

بشّر الله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يؤدون زكاته بعذاب أليم فقال: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم" [(٢)] الآية، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم"[(٣)] الحديث.

فدلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الذين لا يؤدون زكاة أموالهم إذا بلغت النصاب يدخلون النار.

وإني أرى أن عدد الذين يؤدون زكاة أموالهم قليل جدا، وأن عدد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم أكثر بكثير، فكيف يتقي الذين لا يؤدون زكاة أموالهم النار، التي أعدت للكافرين، وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم إلى الاتقاء من النار بالتصدق فقال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"، وإني أرى أن كثيرا من الناس قد أهملوا في أمر الزكاة، وتهاونوا فيه كثيرا في هذا الزمان علما بأن الزكاة

---

(١) رواه مسلم، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات الخ.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

(٣) رواه مسلم، باب إثم مانع الزكاة، من حديث أبي هريرة.

أحد أركان الدين الخمسة، التي يبتني عليها الإسلام، فمن آتى الزكاة أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين.

وعلى وُلاة الأمر وحُكام المسلمين اليوم أن يقاتلوا هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قتالا شديدا حتى يؤدوها كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة، ومنعوا الزكاة بعد ما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم.

أليس لهم في أبي بكر رضي الله عنه أسوة؟

٢٧ – كتمان العلم:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من سئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من النار، كما في الحديث عن أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من النار". [١]

وقد توعّد الله سبحانه العلماء الذين يكتمون العلم والحديث الذي لا يحدّثونه الناس بالعذاب الشديد.

فالعلماء الذين لا يقومون بمهام الدعوة والإرشاد، ولا يبلغون رسالات دين الإسلام إلى الناس عن طريق التدريس والتعليم والدعوة والإرشاد والتبليغ، ولا ينفعون بعلومهم ومعارفهم الناس شيئا.

ولا هم يعلّمونهم ما يعلمونه من علوم الدين، فهم على خطر كبير. والله المستعان.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا لاجتناب الأعمال والأفعال الموصلة إلى النار، وأن يلهمنا الرشاد في الأمر، والسداد في القول، والصواب في العمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

❖❖❖

[١] رواه ابن ماجه ٢٤ باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦٤) وقال الألباني: صحيح.

أحكام الوصية

سليمان بن جاسر بن عبد الكريم الجاسر

الوصية، تعريفها:

هي: تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع، سواء كان ذلك في الأعيان أو في المنافع [1] أو بعبارة أخرى: هي التبرع بالمال بعد الموت.

مشروعيتها:

الوصية مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

أولا: الأدلة من الكتاب:

١ – قول الله تعالى: {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين} (البقرة: ١٨٠)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: {إن ترك خيرا} يعني: مالا [2]، والمراد بحضور الموت: حضور أسبابه وأماراته من العلل والأمراض المخوفة، وليس المراد منه معاينة الموت، لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء.

٢ – قوله تعالى بعد ما ذكر ميراث الأولاد والأبوين: {من بعد وصية يوصي بها أو دين} (النساء: ١١).

٣ – قوله تعالى بعد ما ذكر ميراث الزوج من الزوجة: {من بعد وصية يوصين بها أو دين} (النساء: ١٢).

٤ – قوله تعالى بعد ما ذكر ميراث الزوجة من الزوج: {من بعد وصية توصون بها أو دين} (النساء: ١٢).

---

[1] تكلمة فتح القدير (٨ / ٤١٦) طبعة بولاق، ومغني المحتاج، للخطيب الشر بيني (٣ / ٣٩)، وكشاف القناع، للبهوتي (٤ / ٣٣٦)، وتبيين الحقائق، للزيلعي (٦ / ١٨١ – ١٨٢)، وحاشية الروض المربع لابن قاسم (٦ / ٤٠).

[2] ابن جرير الطبري (٣ / ١٣٤).

ثانيا: الأدلة من السنة:

١ – ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[١].

٢ – وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" [٢]، وفي لفظ عند مسلم: "ما حق امرئ مسلم، له شيء يريد أن يوصي فيه" [٣]، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي" [٤].

٣ – وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضت، فعادني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن لا يردني على عقبي، قال: "لعل الله يرفعك وينفع بك ناسا"، قلت: أريد أن أوصي، وإنما لي ابنة، قلت: أوصي بالنصف؟ قال: "النصف كثير"، قلت: فالثلث؟ قال: "الثلث، والثلث كثير أو كبير"، قال: فأوصى الناس بالثلث، وجاز ذلك لهم [٥].

ثالثا: الإجماع:

قال ابن قدامة: "وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية"[٦].

رابعا: المعقول:

هو حاجة الناس إلى الوصية زيادة في القربات والحسنات وتداركا لما فرط فيه الإنسان في حياته من أعمال الخير، وقد ثبت في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه

---

[١] رواه مسلم (١٦٣١).

[٢] رواه البخاري (٢٧٣٨).

[٣] رواه مسلم (١٦٢٧).

[٤] رواه مسلم (١٦٢٧).

[٥] رواه البخاري (٢٧٤٤) واللفظ له، ومسلم (١٦٢٨).

[٦] المغني (٨ / ٣٩٠).

وسلم أنه قال: "إن الله تصدق عليكم، عند وفاتكم، بثلث أموالكم، زيادة لكم في أعمالكم" [١].

حكم الوصية

الوصية غير واجبة بعينها، لذا يختلف حكمها باختلاف حال الموصي، والموصى إليه، فتتأكد كتابة الوصية إذا كان المسلم في حالة خطر كاستقبال سفر برا كان أو بحرا، أو جوا، واشتداد مرض، ودخول معركة. أما عن حكمها فإنه يدور بين الإيجاب والاستحباب والكراهة والتحريم، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: حالات وجوبها:

يجب على الإنسان أن يوصي بوفاء ما عليه من حقوق: فإذا كان على الإنسان حق لله تعالى ككفارة، أو حج فريضة، أو زكاة لم يخرجها، أو حقوق للعباد مثل الودائع والأمانات، أو دين لا بينة فيه أي أن يكون مدينا ولا أحد يعلم عن دينه إلا الله وهو وصاحب الدين فهنا تجب الوصية، لأن وفاء الدين واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثانيا: حالات استحبابها:

يستحب للمسلم أن يوصي من ماله لنفسه بما يراه نفعا له بعد موته إذا كان ذا مال، وورثته أغنياء، وكذا أقاربه لا حاجة لهم بالمال، لما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[٢].

ثالثا: حالات كراهيتها:

يُكره للمسلم أن يوصي بشيء من ماله إذا كان ورثته فقراء وماله قليل، لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إنك

---

[١] رواه ابن ماجه (٢٧٠٩)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٤١).

[٢] رواه مسلم (١٦٣١).

أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك" [١].

رابعا: حالات تحريمها:

١ – تحرم للورثة:

لما جاء في سنن أبي داود من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث" [٢].

٢ – تحرم لغير الوارث بأكثر من الثلث:

إن كان للموصي وارث: فإنه لا يجوز له الوصية بأكثر من الثلث، وذهب جمهور الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه إذا أوصى بالزيادة على الثلث فإن وصيته لا تنفذ إلا بإذن الورثة، فإن أجازوها جازت وإن لم يجيزوها بطلت [٣]، ويشترط لنفوذها شرطان:

أن تكون بعد موت الموصي، لأنه قبل موته لم يثبت للمجيز حق فلا تعتبر إجازته.

أن يكون المجيز وقت الإجازة كامل الأهلية، غير محجور عليه لسفه أو غفلة.

وفي حالة عدم وجود ورثة للموصي: فيجوز له الوصية بما زاد عن الثلث أو بكل المال، لأن مانع الوصية بما زاد عن الثلث لأجل الورثة، وإذا عدم الورثة زال المانع.

٣ – تحرم إذا قصد منها الإضرار بالورثة:

لقول الله تعالى: {من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار} (النساء:١٢)، أي: لتكون وصيته على العدل، لا على الإضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة، أو ينقصه، أو يزيده على ما قدر الله له من الفريضة، فمتى سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمته وقسمته [٤].

---

[١] رواه البخاري (١٢٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٦٢٨).

[٢] رواه أبوداود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣) و (٢٧١٤)، والنسائي (٣٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٨).

[٣] فقه المواريث والوصية في الشريعة الإسلامية، د. نصر فريد واصل (ص: ١١٦).

[٤] انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣١).

والإضرار في الوصية كأن يوصي بحرمان بعض الورثة من حقهم من الإرث أو يفضل بعضهم على بعض فيه أو يوصي بدين ليس عليه أو يوصي لوارث فلا وصية لوارث.

تحرم إذا أوصى لمحرم: كمن أوصى للمشاهد والقبور، لأن ذلك لا يجوز، لقوله تعالى: {ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} (المائدة:٢).

الحكمة من مشروعية الوصية[١]:

شرعت الوصية لغايات نبيلة، وحكم سامية، منها:

١ – أنها سبب تحصيل الثناء بالخير في الدنيا، ووصول الدرجات العالية في العقبى.

٢ – أنها صدقة تصدق الله بها على الموصي زيادة في ثوابه، كما ورد بذلك الخبر، فينبغي للعاقل ألا يحرم نفسه من هذا الخير، فيتدارك ما فرط فيه في حياته.

٣ – أنها سبب في حسن الخاتمة، والمسلم محتاج إلى أن يختم عمله بفعل ما يقربه إلى ربه زيادة على أعماله الصالحة السابقة.

٤ – أنها صلة لذي الرحم غير الوارث، وسد حاجة المحتاجين، والمعوزين، من الأقارب، والأباعد، وفي القيام بذلك أجر عظيم.

٥ – أنها مكافأة لمن أسدى إلى الموصي معروفا في حياته.

استحباب تعجيل الوصية قبل أمارات الموت:

يستحب كون الوصية ما دام المرء في حال الصحة، لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان"[٢].

---

[١] نبذة في الوصايا لابن قاسم (ص: ١٠).

[٢] رواه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟" قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: "فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر"[١].

فالله الله في المبادرة بالوصية قبل أن يفجأك الموت، ففي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك" [٢].

ما تثبت به الوصية:

تثبت بواحد من أمور ثلاثة، هي[٣]:

١ – العبارة الدالة على الإيجاب من الموصي: ولا يتعين لها لفظ مخصوص، بل كل لفظ فهم منه قصد الوصية أو بالقرينة حصل الاكتفاء به.

٢ – الكتابة: فإذا كتب إنسان وصيته، ووجدت ضمن أوراقه، وكان معروف الخط، فإنها تعتمد في هذه الحالة، لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنه السابق: "إلا ووصيته مكتوبة عنده" [٤].

٣ – الإشارة المفهمة: تصح الوصية وتنعقد بالإشارة إن فهمت من الأخرس، أو معتقل اللسان إذا كان لا يقدر على الكتابة، فإن كان يستطيع الكتابة فلا تنعقد وصيته إلا بالكتابة [٥].

أركان الوصية [٦]:

١ – الموصي: وهو صاحب الوصية.

---

[١] رواه البخاري (٦٤٤٢).

[٢] رواه مسلم (٢٧٣٩).

[٣] نبذة في الوصايا لابن قاسم (ص: ١١- ١٢).

[٤] رواه البخاري (٢٧٣٨).

[٥] ينظر: عقد الجواهر الثمينة (٣ / ١٢٢٣ – ١٢٢٤)، التهذيب للبغوي (٥ / ١٠٠)، روضة الطالبين (٦ / ١٤٠ – ١٤١)، المغني (٨ / ٤٧٠ – ٥١١، ٤٧١)، الفروع لابن مفلح (٤ / ٦٥٨)، الروض المربع (٦ / ٤١ مع حاشية ابن قاسم)، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي (ص: ١٢ – ١٧).

[٦] روضة الطالبين للنووي (٥ / ٩٣)، وحاشية الجمل (٦ / ١٢١، وما بعدها) لسليمان بن عمر المصري المعروف بالجمل، والذخيرة للقرافي (٧/ ١٠)، وكشاف القناع (٣ / ٢١٣١).

٢ – الموصَى له: وهو المستفيد من الوصية.

٣ – الموصَى به: وهو الشيء المستفاد منه غالبا.

٤ – الموصى إليه (الوصي): وهو القائم بتنفيذ الوصية.

٥ – الصيغة: وهي الألفاظ المستعملة في الوصية، كأن تقول أوصيت بكذا لفلان، أو جعلت لفلان ثلث مالي بعد موتي ونحو ذلك.

وبيان هذه الأركان كما يلي [١]:

أولا: الموصي: والمراد به صاحب الوصية.

الشروط المعتبرة في الموصي:

١ – كونه أهلا للتبرع أي كامل الأهلية.

٢ – أن لا يكون معاينا للموت، فإن عاينه لم تصح، لأنه لا قول له حينئذ معتبر شرعا.

٣ – أن يكون مالكا للمال أو المنفعة.

٤ – أن يكون الموصي غير مدين دينا يستغرق كل ماله، لأن سداد الدين مقدم على الوصية، كما في أثر علي رضي الله عنه: "قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية" [٢].

ثانيا: الموصَى له: وهو المستفيد من الوصية:

فإن كانت الوصية لجهة عامة فشرطه أن لا تكون جهة معصية، وإن كانت خاصة فالشروط المعتبرة فيه:

١ – أن لا يكون وارثا للموصي، لما ثبت عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث" [٣].

---

[١] ينظر: لمحات مهمة في الوصية، للمؤلف (ص: ٢٥ – ٣٢).

[٢] رواه الترمذي برقم (٢٠٩٤)، وأحمد برقم (٥٩٥) عن علي وفيه الحارث الأعور، ورواه ابن ماجه (٢١٢٢).

[٣] أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١٨٦)، والترمذي رقم (٢١٢٠)، وقال: حديث حسن، وأبوداود (٣ / ١١٤ برقم ٢٨٧٠)، وابن ماجه رقم (٢٧١٢)، والنسائي رقم (٣٦٤٣ – ٣٦٤٥)، وذكره الحافظ ابن حجر وأفاد أن له شواهد كثيرة، ونقل عن الشافعي أنه متواتر (فتح الباري ٥ / ٣٧٢)، وصححه الألباني في الإرواء برقم (١٦٥٥).

٢ – كونه الموصَى له معينا: فإن كان مجهول العين فلا تصح له الوصية، ويكفي العلم بالوصف كقوله أوصي للمساكين والفقراء.

٣ – كون الموصَى له أهلا للتملك، فإن كان ممن لا يصح تملكه فلا تصح الوصية له، كالجني والبهيمة والميت [1]، ونحوه.

٤ – كون الموصَى له حيا غير ميت [2].

٥ – كون الموصَى له غير قاتل للموصي: فإذا أوصى شخص لآخر ثم قتله الموصى له بطلت الوصية إن كان القتل عمدا قياسا على الميراث، وللقاعدة الفقهية المشهورة (من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه).

ثالثا: الموصَى به [3]:

وهي العين التي أوصى بها أو المنفعة.

ويشترط في الموصَى به أمور:

١ – كونه بعد موت الموصي: فإن كان قبله فهو هبة وليس وصية.

٢ – أن يكون قابلا للتمليك: فلو أوصى بشيء يزول ملك الموصَى له عنه، أو أوصى بشيء سوف يملكه فمات قبل ملكه له فلا تصح الوصية به.

٣ – أن يكون الموصَى به مباحا: فإن كان الموصى به غير مباح الانتفاع به فإنه لا يجوز للموصى له تنفيذه.

رابعا: الموصَى إليه (الوصي):

وهو المأمور بالتصرف في الوصية بعد الموت وهو من يسمى بالوكيل على الوصية، أو الوصي على الوصية.

---

(١) وقيل بجوازها للبهيمة وتصرف في مصالح البهيمة خصوصا إذا كانت من بهيمة الجهاد والميت تصرف صدقة له في أعمال الخير، رجحه في الشرح الممتع (١١ / ١٦٨)، وكذا الموصي للميت لقضاء دين عليه، انظر مصنف عبدالرزاق (٩ / ٢٤).

(٢) انظر: الكافي (٢ / ٤٧٩)، والمهذب للشيرازي (٣ / ٧١٣)، وروضة الطالبين (٦ / ٩٩).

(٣) انظر الفروع (ص: ١١٦٩)، والروضة للنووي (٥ / ١١١)، وكشاف القناع (٣ / ٢١٥٣).

الشروط المعتبرة فيه[1]:

١ – التكليف: أي كونه مكلفا أي مسلما بالغا عاقلا.

٢ – الرشد: والمراد به إحسان التصرف أي كونه ممن يحسن التصرف فيما ينفعه وينفع غيره.

٣ – العدالة: فإن كان مخروم العدالة فلا تصح نيابته عن الموصي.

خامسا: الصيغة:

وهي الألفاظ في الوصية.

لا يشترط في الصيغة التي تنعقد بها الوصية ألفاظ مخصوصة، فتكون بكل لفظ يدل عليها سواء كان لفظا صريحا كقول الموصي أوصيت لفلان بكذا، ونحوه، أو لفظا غير صريح يفهم منه الوصية بالقرينة كقول الموصي أعطوا كذا لفلان بعد موتي.

ومثل اللفظ الكتابة وهذا يسمى الإيجاب.

أما القبول: وهو قبول الموصَى إليه (الوصي) الوصاية التي أسندت إليه، فهو شرط لتنفيذ الوصية بعد الموت وهو أن يقول قبلت ويحصل أيضا بالفعل كأخذ الموصَى به، ونحو ذلك مما يدل على الرضا.

ولا يشترط الفورية في القبول، بل يجوز القبول ولو كان على التراخي ما لم يتعين تنفيذ الوصاية[2].

مقدار المال الموصَى به:

قال القرطبي: لم يبين الله تعالى في كتابه مقدار ما يوصَى به من المال، وإنما قال: {إن ترك خيرا}، والخير المال، كقوله: {وما تنفقوا من خير}، {وإنه لحب الخير}، فاختلف العلماء في مقدار ذلك، فروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أوصى بالخمس، وقال: رضيت لنفسي بما رضي الله به لنفسه، وقال علي رضي الله عنه: رضي الله لنفسه من غنائم المسلمين بالخمس، وقال معمر عن قتادة: أوصى عمر بالربع، وذكره البخاري عن ابن عباس، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال:

---

[1] كشاف القناع (٣ / ٢١٧٨)، والأم (٤ / ١٢٦).

[2] أسنى المطالب للأنصاري (٣ / ٦٩)، مغني المحتاج (٤ / ١٢١)، الوصايا في الفقه الإسلامي (١١٧).

لأن أوصي بالخمس أحب إليّ من أن أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث" اهـ [1]

إذن: لا حق للموصي في الوصية بأكثر من الثلث، والأولى أن تكون أقل من الثلث.

وصية الجنف:

على الموصي أن يحذر من وصية الجنف، وذلك بأن يوصي للوارث أو يكذب في وصيته من أجل أن يحرم ورثته أو بعضهم.

وعلى من يعلم بوصية الجنف ويستطيع تغييرها أن يغيرها ويبدلها، وهو في ذلك مأجور قال تعالى: {فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم} (البقرة: ١٨٢). وفسر الجنف: بأن يخطئ الموصي في وصيته، والإثم بأن يتعمد الجور في وصيته، والصلح مطلوب في كلا الحالتين [2].

تغيير الوصية من قبل غير الموصي:

إذا كانت الوصية على الوجهة الشرعية حرم تغيير ما أوصى به الموصي لقول الله تعالى: {فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم} (البقرة: ١٨١).

لكن إن أخطأ الموصي في وصيته، فيجب تغيير هذا الخطأ وتصحيحه، لقوله تعالى: {فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم} (البقرة: ١٨٢).

واجب كاتب الوصية وشهودها:

ينبغي لكاتب الوصية والشهود عليها أن يحسنوا كتابتها، وأن يوضحوا للموصي – إذا كان لا يعلم – الفرق بين الوقف والوصية.

الإشهاد على الوصية:

يستحب الإشهاد على الوصية سواء كتبها بنفسه أو أملاها على كاتب غيره، لقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض

---

[1] الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٢٦٠).

[2] الوصية، للأطرم (ص: ٢٣ – ٢٤).

فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين} (المائد: ١٠٦).

وقت اعتبار النظر في الموصي له كونه وارثا أو غير وارث:

وقت وفاة الموصي لا وقت كتابة الوصية، لأن الوصية قد تتقدم على وفاة الموصي بدهر طويل.

ما يبدأ به في الإخراج من التركة:

يبدأ بإخراج الواجب من تركة الميت، أوصى بها الميت أو لم يوص، والواجب إما حق لله كفريضة حج، أو كفارة يمين، أو ظهار، أو زكاة وجبت فتوفي قبل إخراجها، أو نذر أوجبه على نفسه فتوفي قبل الوفاء به، أو حق واجب لآدمي.

حكم قبول الوصي على المال الموصى به [الوصية] وهل يحق له عزل نفسه؟:

يستحب قبول الوصية لمن قوي عليها، ولا يحق له عزل نفسه في الصور الآتية:

١ – إذا لم يجد حاكما صالحا.

٢ – أن يتعذر تنفيذ الحاكم للموصى به.

٣ – أن يخاف أن يسند الحاكم الوصية إلى من ليس بأهل.

٤ – أن يعرف ظلم الحاكم وعدم مبالاته بأوقاف المسلمين ووصاياهم.

أيهما أولى أن يكون المال الموصى به حصة أو نسبة أو مالا أو عينا؟:

هذا يختلف بحسب حال الموصي ووضعه الاجتماعي وحالته المادية، ومع هذا فكلما كان المال الموصَى به محددا بمال أو نسبة، أو حصة، أو عين عقارية كعمارة، أو أرض، أو مصنع، أو غيرها، كان أسرع وأيسر لتنفيذ الوصية.

هل للموصي أن يعدد الأوصياء؟:

نعم له أن يعين أكثر من وصي بأن يجعل لكل واحد منهم التصرف في شيء معين، مثل أن يوصي لشخص بتفريق المال الموصَى به كثلث أو ربع أو خمس، والآخر بتزويج بناته وآخر بتولّي أموال القصَّر، وجعل الوصية لواحد أفضل إن أمكن حسما للنزاع وتلافيا لاختلاف وجهات النظر.

مصارف الوصية:

يصرف المال الموصَى به في أعمال البر والإحسان، وأفضل ما يكون على فقراء الأقارب غير الوارثين، لأن الله نوّه بحقهم حال الحياة، فبعد الموت أولى، وأعمال البر تتنوع وهي كثيرة منها:

١ – المجال التعليمي مثل (نشر العلم الشرعي والدعوة إلى الله، بناء مدارس ومعاهد ودعمها، كفالة طالب علم ومعلم، منح دراسية، إقامة دورات ومسابقات علمية، طباعة كتب، نسخ أشرطة، تعليم للقرآن، إنشاء المكتبات الخيرية).

٢ – المجال الدعوي مثل (المراكز الصيفية، المخيمات واللقاءات الدعوية، الجولات الدعوية، المؤسسات الدعوية، هيئات الأمر بالمعروف، مكاتب الدعوة والجاليات).

٣ – المجال الاجتماعي والإغاثة مثل (كفالة الأيتام والأرامل)، مساعدة الفقراء والمساكين بالمال والغذاء والكسوة والمسكن، إعانة أصحاب الديات والحوادث، الإعانة على الزواج، إطعام وسقيا الحجاج، تفطير الصائمين في رمضان، حفر الآبار، وضع البرادات، دعم حالة الكوارث والطوارئ، تعبيد الطرقات، المسجونين، القرض الحسن للمحتاجين).

٤ – المساجد (البناء والتأسيس، الترميم والتوسعة، تأمين مصاحف، تأمين الأجهزة والأدوات، النشاط الدعوي، كفالة إمام، مغاسل الأموات، إنشاء المكتبات الخيرية بالمساجد).

٥ – المجال الصحي مثل (تأمين الأجهزة والأدوات للمرضى والمعاقين، الدعم في حالة الطوارئ والأمراض العارضة، التعاون مع مستشفيات علاج الإدمان، دعم النشرات والكتيبات الصحية ونحوها، دعم المراكز الصحية المحتاجة، تأمين الدواء للمرضى المحتاجين، دعم العيادات الصحية الخيرية، دعم الجمعيات الصحية الخيرية).

٦ – المجال الإعلامي مثل (تأسيس ودعم القنوات الفضائية لنشر الإسلام والعقيدة الصحيحة، قنوات لتعليم القرآن الكريم، قنوات للسنة النبوية الصحيحة، إنشاء ودعم المجلات والدوريات الإسلامية، إنشاء ودعم مواقع إسلامية على الشبكة العالمية، دعم الإعلانات الدعوية المؤثرة في المجالات المختلفة، رعاية أي عمل إعلامي جاد ينفع الإسلام والمسلمين).

حكم تنفيذ الوصية:

يغفل كثير ممن أوصي إليهم عن حكم تنفيذ ما أسند إليهم في الوصية، وأحيانا لا يبالون بها، وهذا خطأ، فحكم تنفيذ الوصية واجب يأثم الموصى إليه بعدم تنفيذها أو تأخيرها إن كانت محددة بوقت، فعلى من كان وصيا على شيء أن ينتبه لهذا الحكم، وأن يدرك حجم الأمانة والمسؤولية التي أسندت إليه.

مبطلات الوصية:

تبطل الوصية بأحد الأمور التالية:

١ – موت الموصَى له، وذلك لأن الوصية إنما يملكها الموصَى له بعد موت الموصي، فإن مات قبل الموصي بطلت الوصية، لأنه مات قبل أن يملكها.

٢ – قتل الموصي من قبل الموصَى له، لأن القتل يمنع الوصية فلو قلنا بعدم بطلان الوصية بالقتل لفتحنا باب شر عظيم فكل من أوصي له، وأبطأ عليه موت الموصي قام بقتله ليأخذ المال الموصَى به.

٣ – تلف الموصَى به، فمتى تلف الموصَى به بطلت الوصية فلو أوصَى الميت لزيد بمال أو سيارة مثلا فتلفت باحتراق أو غيره فإن الوصية تبطل.

٤ – رجوع الموصي في الوصية قبل الموت، أو إنكاره لها وجحودها، فمتى أنكر الموصي أنه أوصَى لزيد بكذا، فإنها تبطل لكونه لا يريد إيصالها له، والوصية تبرع لا يصح إلا بطيب نفس.

٥ – ردة الموصي أو الموصَى له، فإذا ارتد أحدهما بطلت. وقيل لا.

٦ – رد الموصَى له للوصية بعد موت الموصي.

بعض الفروق بين الوصية والوقف:

- الوصية تدخلها الأحكام التكليفية الخمسة كما تقدم، أما الوقف فإنه مستحب.
- الوصية لا يعمل بها ولا تلزم ولا تنفذ إلا بعد الموت، أما الوقف فيعمل به حال العزم عليه.
- الوصية يجوز للموصي الرجوع فيها، أما الوقف فلا.
- الوصية لا تجوز إلا في الثلث فأقل، أما الوقف فإنه لا حد لأكثره.

- الموصى له بالمنفعة يملك الإجارة والإعارة، والسفر بها، وتورث عنه، أما الوقف فلا يملك الموقوف عليه إجارته، ولا إعارته، ولا يورث عنه.
- الوصية لا تجوز للورثة، أما الوقف فيجوز عليهم.

إضاءة:

تستحب الوصية لذوي القربى غير الوارثين، لأن الله أمر بها بقوله تعالى: {إن ترك خير الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف} (البقرة: ١٨٠)، ونسخ قوله صلى الله عليه وسلم: "لا وصية لوارث" [1] الوصية للوارث، وبقي من لا يرث على أصل الاستحباب، فيستحب لمن مات ابنه أو ابنته أن يوصي لذرياتهم، لأنهم يحجبون عن الميراث بوفاة والديهم.

إجراءات كتابة الوصية:

أ – الجهة المختصة: هي المحكمة العامة وليست كتابة العدل.

ب – من أراد أن يثبت المال الموصَى به إن كان عينا فليذهب إلى المحكمة، ويهمش الصك على أنه مال موصَى به.

ج – أن يحرص عند تنفيذ الوصية على هذه الأمور مرتبة:

١ – حصر الأموال النقدية والعينية.

٢ – السؤال لكل من تعامل معه هل عليه دين أم لا؟

٣ – هل له من وصية أم لا؟

٤ – تصفية التركة وإعطاء كل ذي حق حقه.

وفي الختام:

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وُفّقتُ في هذه المقالة لما فيه النفع العام، فما كان فيها من صواب فمن الله عز وجل وحده، وما كان فيها من خطأ أو سهو فمن نفسي والشيطان، والله عز وجل بريء منه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

---

[1] رواه أبوداود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣) و (٣٧١٤)، والنسائي (٣٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٨).

عدة الأشهر وعدة الحول

الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري تعليق: الشيخ محمد أسلم المباركفوري

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أمابعد:

فإن المسألة التي كلفتموني الجواب عنها، تقتضي البسط وتطلب التفصيل، وتحتاج إلى الإيضاح، فإنها تشتمل على عدة أمور:

الأول: مذهب الجمهور ومعنى الآيتين [1] عندهم.

والثاني: مذهب عطاء ومجاهد صاحبي ابن عباس – رضي الله عنهما – والفرق بين قوليهما، وحكم الآيتين عندهما.

والثالث: تعيين الموضع الذي زلّ فيه قلم صاحب البذل، وبيان خطئه الواضح وغلطه الفاحش في ذكر مذهب مجاهد.

---

[1] الآيتان هما:

١ – قال الله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، والله بما تعملون خبير} (البقرة: ٢٣٤).

٢ – قال الله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف. والله عزيز حكيم} (البقرة: ٢٤٠) وهذه الآية تسمى "آية الحول" وهي متقدمة في النزول ومتأخرة في التلاوة. يرى الإمام مجاهد أنها محكمة، لا منسوخة. قاله الشوكاني في فتح القدير (١ / ٢٥٩).

وذهب ابن عباس وغيره أن آية الحول منسوخة بآية التربص. قال الحافظ ابن كثير: وفي هذا نظر. انظر: تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٢٨).

والقول بأن آية الحول منسوخة هو قول الجمهور من المفسرين، بل حكى ابن عطية والقاضي عياض والرازي أن الإجماع منعقد على أنها منسوخة. انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص ٢١٣ – ٢١٦) وناسخ القرآن ومنسوخه لابن البارزي، المتوفى سنة (٧٣٨هـ) (ص ٢٧) وتفسير ابن كثير (١ / ٤٢٨، ٤٤٤) وتفسير القرطبي (٣ / ١٧٤، ٢٢٦، ٢٢٧) وفتح القدير (١ / ٢٥٩).

قال الجصاص: واتفق أهل العلم على أن عدة الحول منسوخة بعدة الأشهر. أحكام القرآن (١ / ٤١٤).

والرابع: تعيين مختار الإمام البخاري حسب ما يشير إليه صنيعه في صحيحه.
والخامس: بيان ما هو الراجح عند هذا العبد الضعيف.

فأقول – وبالله التوفيق وهو الملهم للرشد والصواب – إن الجمهور على أن آية الحول كانت متقدمة في النزول، متأخرة في التلاوة. وكان الأمر في أول الإسلام أن يوصي الأزواج قبل الاحتضار، بأن تمتع أزواجهم بعد وفاتهم حولا كاملا، وينفق عليهم من تركتهم. ولا يخرجن من مساكنهن، فكانت العدة الواجبة على المرأة سنة كاملة. وكانت تلزم الأزواج النفقة والسكنى في هذه المدة. ثم نزلت آية التربص ونسخت المدة بقوله: {أربعة أشهر وعشرا} والسكنى تبع للعدة. فلما نسخ الحول في العدة بالأربعة الأشهر والعشر نسخت السكنى أيضا، ونسخت النفقة بالإرث، الذي هو الربع أو الثمن [١]، وهذا عند الحنفية[٢]، فإنه لا نفقة للمتوفى عنها زوجها ولا سكنى في الأربعة الأشهر والعشر عندهم، إلا أنها تعتد في البيت الذي أتاها فيه نعي زوجها، لكن من جهة الإحداد، لا من جهة لزوم السكنى، ولذا تجب أجرة البيت وكراؤه على المرأة. لا في تركة الميت، خلافا للشافعي في أظهر قوليه، فإنه ذهب إلى وجوب السكنى في تركة الميت [٣]. واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم للفريعة: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله. أخرجه مالك والترمذي وأبوداود والنسائي وابن ماجه [٤].

---

[١] أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج} فكان للمتوفى عنها زوجها نفقتها وسكناها في الدار سنة، فنسختها آية المواريث، فجعل لهن الثمن أو الربع مما ترك الزوج. وذكره الحافظ ابن كثير (١ / ٤٤٤) وأخرجه البخاري (٣٥٣٠) وأبوداود (٢٢٩٨)

[٢] انظر: أحكام القرآن للجصاص (١ / ٤١٤، ٤١٨) والاختيار (٤ / ٨) وبذل المجهود (١١ / ٦٦).

[٣] انظر: كفاية الأخيار (٢ / ٦٤١) وتفسير ابن كثير (١ / ٤٤٥).

[٤] أخرجه الإمام مالك (٢ / ١٠٦) ولفظه: أن الفريعة بنت مالك بن سنان، وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة، فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا، حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه. قالت: فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة

وحمله الحنفية على الإحداد، أو أن الأمر للاستحباب.

هذا وقد ظهر من هذا التفصيل معنى الآيتين، وحكمهما على مذهب الجمهور فلا علينا لو تركنا تفسيرهما.

وأما مذهب مجاهد وعطاء: فاعلم، أنه ذهب مجاهد وعطاء إلى أن آية التربص نزلت قبل آية الحول، كما هي قبلها في التلاوة، فاتفقا على أن آية الحول ليست بمتقدمة في النزول على آية التربص. وليس بينهما تدافع، حتى تكون آية الحول منسوخة بآية التربص، خلافا للجمهور [1]. فاستشكلا جميعا كون الناسخ قبل المنسوخ في التلاوة. فذهبا إلى ما ذهبا لذلك. ثم اختلفا وافترقا.

فأما مجاهد، فقال: إن استعمال الآيتين ممكن بحكم غير مدافع، بجواز أن يوجب الله على المرأة المعتدة تربص أربعة أشهر وعشرا. ويجب على أهلها أن تبقى عندهم سبعة أشهر وعشرين ليلة تمام الحول، إن أقامت عندهم، وحاصل قول مجاهد: إن العدة الواجبة هي أربعة أشهر وعشرا، على وفق آية التربص المتقدمة في التلاوة والنزول عنده. وتمام السنة باختيارها بحسب الوصية. فإن شاءت قبلت الوصية واعتدت إلى الحول في مسكن زوجها، وإن شاءت اكتفت بالواجب كما تدل عليه آية الحول المتأخرة في التلاوة والنزول. فلم يكن يجب عليها في مدة الوصية ملازمة سكن الزوج.

ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أمر بي فنوديت له، فقال: كيف قلت؟ فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله. قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا. قالت: فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به. وأخرجه أحمد (٦ / ٣٧٠).

وأخرجه أيضا أبوداود (٢٣٠٠) والترمذي (١٢٠٤) والنسائي (٦ / ١٩٩) وابن ماجه (٢٠٣١) وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٩٦٢) وفي الإرواء (٢١٣١)، وانظر المسألة في المغني (١١ / ٢٩٠) ونيل الأوطار (٦ / ٣٣٦).

[1] قال الحافظ ابن كثير في تفسير آية الحول: "هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة، كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخا بالأربعة الأشهر وعشر، وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات، بأن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولا كاملا إن اخترن ذلك". تفسير ابن كثير (١ / ٤٤٥).

وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها، في تمام السنة أي سبعة أشهر وعشرين ليلة، فالعدة الواجبة عند مجاهد هي أربعة أشهر وعشرا، كما كانت قبل نزول آية الحول، والزائد إلى تمام الحول، وهو بحسب الوصية، إن شاءت قبلت الوصية وتعتد في بيت أهل الزوج إلى تمام الحول. وإن شاءت اكتفت بالواجب. وإنما أمر الأزواج بالوصية بالتمتيع إلى تمام السنة، فضلا من الله على الزوجات، لأنها لم تكن نزلت آية الميراث، ولم يكن للزوجات حق في تركة أزواجهن. وكان الاستحقاق في تركة الميت بالوصية فقط، ففضّل الله على الزوجات بأن أوجب على الأزواج أن يوصوا قبل الاحتضار، بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا، ثم جاء الإرث فنسخ السكنى، وتركت الوصية، فتعتد حيث شاءت. ولا سكنى لها وجوبا بحسب الوصية، أي: لا تجب على الأزواج الوصية لزوجاتهم بالنفقة والسكنى فلا سكنى لهن ولا نفقة، لا في الأربعة الأشهر والعشر، ولا فيما زاد عليها. [1]

وأما عطاء، فذهب فيما أرى، والله أعلم، إلى أن العدة الواجبة على المرأة كانت أربعة أشهر وعشرا، بحسب آية التربص، المتقدمة في التلاوة والنزول. وكان على المرأة أن تلازم بيت زوجها في هذه الأربعة الأشهر والعشر. ثم نزلت آية الوصية إلى الحول، فأوجب الله على الأزواج الوصية بالتمتيع إلى تمام السنة. ولكن لما كان ذلك رعاية لحق الزوجات، خيّرن بين الملازمة وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها [2]. ولم يقتصر هذا التخيير على الزائد إلى تمام الحول، أي: سبعة أشهر وعشرين ليلة، بل سوى هذا التخيير إلى المدة المزيدة عليها أيضا، أي: إلى الأربعة الأشهر والعشر. فلا يجب على المرأة عنده أن تلازم بيت زوجها في الأربعة الأشهر والعشر، بل لها أن تعتد في هذه المدة

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٤٤٥) وشرح ابن بطال على البخاري (٧ / ٥١٥).

[2] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم} ما نصه: قال عطاء: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت، وهو قول الله تعالى {غير إخراج} قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت. تفسير ابن كثير (١ / ٤٤٥) وانظر: صحيح البخاري (٤٥٣١).

أيضا حيث شاءت عند أهل زوجها، أو عند غيرهم [1]، كما لها أن تعتد عند أهله، وتسكن في وصيته إلى تمام الحول، أو تخرج ولا تسكن في وصيته. وهذا معنى قول ابن عباس. نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها، تعتد حيث شاءت، أي: نسخت آية الوصية إلى الحول لزوم الاعتداد في بيت زوجها في الأربعة الأشهر والعشر، فلها أن تعتد حيث شاءت. والحاصل أنه نسخ وجوب الاعتداد في بيت زوجها في الأربعة أشهر وعشرا بآية الحول، التي تدل على التخيير وعدم الوجوب، ثم نسخ وجوب السكنى على الأزواج بحسب الوصية بآية الميراث.

وحاصل مذهب عطاء ومجاهد، ومحصل الفرق بين قوليهما: أنهما اتفقا على كون آية التربص متقدمة في النزول على آية الحول، كما هي قبلها في التلاوة، خلافا للجمهور. واتفقا – أيضا – على أنه كانت النفقة والسكنى للمرأة على الميت بحسب الوصية بآية الحول. ثم نسخت بآية الميراث في الأربعة الأشهر والعشر وفيما زاد عليها.

واختلفا في أن التخيير بين ملازمة بيت الزوج وبين الخروج بعد نزول آية الحول، مقتصر على الزائد إلى تمام الحول، أي: السبعة الأشهر والعشرين، أو ليس بمقتصر عليه، بل هو جار في الأربعة الأشهر والعشر أيضا. فقال مجاهد: بالأول: بأن العدة وملازمة بيت الزوج فيها واجبة عليها، كما كانت قبل نزول آية الحول، والتخيير إنما هو في القدر الزائد إلى تمام السنة.

وقال عطاء: بالثاني، أي: لا تجب على المرأة أن تلازم بيت زوجها، لا في الأربعة الأشهر، ولا في الزائد إلى تمام السنة. هذه غاية ما يمكن أن يقال في الفرق بين قوليهما. وبهذا ظهر حكم الآيتين ومعناهما عندهما، فتأمل.

وبهذا تبين – أيضا – موضع خطأ صاحب البذل، ومحل غلطه، فإنه لم يفرق بين مذهبيهما. وجعل قول مجاهد مثل قول عطاء، حيث قال: وأما مجاهد وعطاء عن

---

[1] أخرج البيهقي (٧ / ٤٣٥) عن عطاء أنه قال: لا يضر المتوفى عنها أين اعتدت. وذكره ابن حزم في المحلى (١٠ / ٢٨٥) ورجاله ثقات. وروى ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس نحوه، أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٣١).

ابن عباس، فإنهما قالا: إن حكم التربص أربعة أشهر وعشرا، كان واجبا عليهما أن تلازم في الاعتداد بيت زوجها، فنسختها آية الوصية إلى الحول، بأنه لا يجب عليها أن تلازم بيت زوجها، بل لها أن تعتد حيث شاءت، إلى آخر ما قال صاحب بذل المجهود في حل أبي داود (١١ / ٦٩).

وأما (اختيار الإمام البخاري) فأعلم – أولا – أن الإمام البخاري لم يفصح بنفسه بمختاراته وعاداته في جامعه ولا في الخارج. ولم يصنف أحد كتابا في بيان مختاراته ومسائله، كما صنفوا في مختارات سائر الأئمة. ولم يدون فقهه كما دوّنوا فقههم، فالنظر في مختاراته ومسائله يدور على تراجمه. فيجرها الشراح من أهل المذاهب إلى مذاهبهم ومسائلهم. ويفسرونها حسب مسالكهم، مع أنه كان مجتهدا. سلك مسلك الاجتهاد في تراجمه. ولم يقلد في مختاراته أحدا من الأئمة قبله. إذا عرفت هذا، فاعلم أن الذي تحقق عندي بعد السبر وإمعان النظر في هذا المقام، أنه اختار مذهب الجمهور، ووافق قولهم الذي أطبق عليه العلماء كافة، وهذا لأنه ترجم أولا بآية التربص [١]، وأخرج فيه قصة عبد الله بن الزبير مع عثمان [٢]، وهي موافقة لقول الجمهور، في أن آية الحول متقدمة في النزول على آية التربص ومنسوخة بها. ثم روى بسنده أقوال مجاهد وابن عباس وعطاء [٣]. ثم ترجم بعد ثلاثة أبواب بآية الوصية إلى الحول. واكتفى فيه بذكر حديث عبد الله بن الزبير، الذي أشرنا إليه. والظاهر أن مقصوده من الباب الأول بيان عدة المتوفى عنها زوجها، وما يتعلق بها. فقد ذكر ما فيه بيان العدة عن أقوال السلف، وحديث سبيعة الأسلمية [٤]. وأشار إلى مذهب الجمهور في مسألة العدة بحديث عبدالله بن الزبير.

---

[١] انظر: صحيح البخاري (٨ / ١٩٣).

[٢] ولفظه: قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا} قال: نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئا من مكانه. أخرجه البخاري (٤٥٣٠، ٤٥٣٦).

[٣] أخرج هذه الأقوال الإمام البخاري في صحيحه (٤٥٣١).

[٤] انظر: صحيح البخاري (٤٥٣٢).

وتصديره أحاديث الباب بحديث ابن الزبير، أشار إلى رجحان قول الجمهور، واختياره أن آية الحول منسوخة بآية التربص. وإنما ذكر قول مجاهد وعطاء للتنبيه على وقوع الاختلاف في المسألة، لا لأنه اختار قول أحد منهما. وهذا كصنيعه في الروايات المختلفة، إذا كان بعضها أرجح من بعض، فيذكر أولا الطريق الراجح، ويعتمدها ويجعلها أصلا. ثم يذكر بقية الروايات للتنبيه على الاختلاف فقط، وأن مجرد الاختلاف لا يورث القدح في صحة الحديث فإن الراجح لا يعلى بالمرجوح.

قال الحافظ في الفتح: عادة البخاري في الروايات المختلفة: إذا رجح بعضها عنده أنه اعتمده. وأشار إلى البقية، وأن ذلك لا يستلزم القدح في الرواية الراجحة، لأن شرط الاضطراب أن يتساوى وجوه الاختلاف، فلا يرجح شيء منهما. انتهى.

وأراد بالباب الثاني: الإعلام، بأن المنسوخ يكتب في المصحف إذا لم ينسخ تلاوته، لأن نسخ الحكم ورفعه لا يستلزم نسخ التلاوة ورفعها. ولذا أكتفي ههنا بذكر حديث عبد الله بن الزبير الذي يدل على هذا المقصود دلالة واضحة بينة. وإيراد البخاري حديث ابن الزبير ثم اكتفاؤه بذكره يدل على أنه وافق الجمهور في كون آية الحول متقدمة في النزول، منسوخة بآية التربص [1]، والله أعلم.

---

[1] قال ابن بطال بعد أن ذكر قول مجاهد المتقدم ذكره: وهذا قول لم يقله أحد من المفسرين للقرآن غيره، ولا تابعه عليه أحد من فقهاء الأمة، بل اتفق جماعة المفسرين وكافة الفقهاء أن قوله: {متاعا إلى الحول} منسوخ بقوله {يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا} ويشهد لذلك قوله عليه السلام في حديث زينب بنت أبي سلمة: وقد كانت إحداكن ترمي بالبعرة على رأس الحول. أخرجه البخاري (٥٣٣٧) بنحوه.

ومما يدل على خطأ مجاهد أن الله تعالى إنما أوجب السكنى للمتوفى عنهن أزواجهن عند من رأى إيجابه في العدة خاصة، وهي الأربعة أشهر وعشر وما زاد عليها فالأمة متفقة أن المرأة فيها أجنبية من زوجها لا سكنى لها ولا غيره، شاءت أم لم تشأ. وكيف يجوز أن تبقى في بيت زوجها بعد العدة إن شاءت، وهي غير زوجة منه، ولا في بطنها حمل، يوجب حبسها به، ومنعها من الأزواج حتى تضعه.

وأيضا فإن التسكين إنما كان في الحول حين كانت العدة حولا والسكنى مرتبطة بها. فلما نسخ الله الحول بالأربعة أشهر وعشر، استحال أن يكون سكنى في غير عدة. شرح ابن بطال (٧ / ٥١٥ – ٥١٦) على صحيح البخاري.

وقال الحافظ في الفتح (٩ / ٤٩٤): وما نقل عن مجاهد وغيره بعدة السكنى على أنه شاذ لا يعول عليه. انتهى.

أما الأمر الخامس: فالمختار الراجح عندي [1]، هو قول مجاهد، لا قول الجمهور، فإنه لا يحتاج على قوله ومذهبه إلى القول بالنسخ الذي هو خلاف الظاهر. ويصح معنى الآيتين من غير تكلف، كما تقدم. وإذا أمكن استعمال الآيتين بحكم غير متدافع، فأي ضرورة إلى ادعاء النسخ. وأما دعوى إطباق الصحابة والتابعين على القول بالنسخ، فلم يثبت إلا عن ابن الزبير وعثمان – رضي الله عنهما – وقد علمت أنه خالفهما ابن عباس، حبر القرآن وترجمانه.

هذا ما عندي، والله أعلم بالصواب. ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

وقال القرطبي في تفسيره بعد ذكر حديث زينب بنت أبي سلمة: هذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم عن حالة المتوفى عنهن أزواجهن قبل ورود الشرع، فلما جاء الإسلام أمرهن الله تعالى بملازمة البيوت حولا، ثم نسخ بالأربعة الأشهر والعشر، هذا – مع وضوحه في السنة الثابتة المنقولة بأخبار الآحاد – إجماع من المسلمين لا خلاف فيه، قاله أبوعمر. وكذلك سائر الآية، فقوله عز وجل: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج} منسوخ كله عند جمهور العلماء، ثم نسخ الوصية بالسكنى للزوجات في الحول، إلا رواية شاذة مهجورة جاءت عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، لم يتابع عليها، ولا قال بها فيما زاد على الأربعة الأشهر والعشر أحد من علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فيما علمت. وقد روى ابن جريج عن مجاهد مثل ما عليه الناس، فانعقد الإجماع وارتفع الخلاف، وبالله التوفيق. تفسير القرطبي (٣ / ٢٢٧).

رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد، وكذلك رواية ابن جريح عنه، أخرجها الإمام البخاري في صحيحه، برقم (٤٥٣١).

وممن قال بالنسخ: أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه: الإيضاح (ص ١٨٢ – ١٨٣) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص ٢١٤) وفي المصفى بأكف أهل الرسوخ (ص ٢١) وابن البارزي في ناسخه، (ص ٢١) وغيرهم من المفسرين.

[1] ويؤيده ما قرره علماء الأصول كافة، وأهل الكلام الفقهي: أن الجمع واجب إذا أمكن، وأنه أولى من الترجيح، لأن في الجمع إعمال الدليلين، وهو أولى.

ثم إن النسخ لا يصار إليه إذا أمكن الجمع، وإنما يصار إليه إذا تعذر الجمع.

انظر: فتح الباري (١ / ٢٧٧، ٣ / ٩٤، ٤ / ٣٣٠، ٥ / ١٨٠، ٨ / ٤٥١، ٥٩١، ٩ / ٤٧٤، ١٣ / ٤١٠) وبداية المجتهد (١ / ٣٧، ٤٠، ٥٥، ٧١، ٢ / ١٦٠، ٤٠٢) وتفسير القرطبي (٣ / ١٧٥) والأشباه والنظائر للسيوطي (ص ١٢٨) وعلم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف (ص ٦٢) والأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٦٢).

قلت: ثم وقفت على تفسير العلامة رشيد رضا المرحوم منشيء مجلة المنار، الذي تتبع فيه طريق الأستاذ الإمام حكيم الإسلام الشيخ محمد عبده، وقد تكلم كلاما حسنا جيدا في تفسير الآية، وقوى قول مجاهد ومن نحا نحوه، فأحببت أن أذكر ما يحتاج إلى ذكره تكميلا للفائدة. قال بعد ذكر قول الجمهور وبسطه، ثم ذكر وجها آخر يتصل بقول الجمهور وتضعيفه ما لفظه:

"والقول الثاني أن هذه الآية لم يذكر فيها التربص، الذي هو الاعتداد، كما ذكر في غيرها من آيات العدة السابقة، وإنما ذكر الوصية، والمراد بها أن يستوصي الرجال بالنساء اللواتي يتوفى أزواجهن خيرا، بأن لا يخرجوهن من بيوت أزواجهن، بعدما كان من قوة علاقتهن بها إلى مدة سنة كاملة، تمر فيها عليهن الفصول الأربعة الذي يتذكرن أزواجهن فيها، وأن يجعل لهن في مدة السنة شيء من المال ينفقنه على أنفسهن، إلا إذا خرجن وتعرضن للزواج، أو تزوجن بعد العدة المفروضة في الآية السابقة، ولكن لم يعمل أحد من الصحابة ولا من بعدهم بهذا، ولذلك قال الجمهور: إنه منسوخ، وذهب بعض الصحابة إلى أن الأمر بالوصية كان للندب، وتهاون الناس به كما تهاونوا في كثير من المندوبات، أي كاستيذان الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم عند دخول بيوتهم، في الأوقات الثلاثة التي هي مظنة التهاون بالستر، قبل صلاة الفجر، وحين وضع الثياب من الظهيرة في أيام الحر، ومن بعد صلاة العشاء. قال (أي الشيخ محمد عبده): وعلى هذا فلا نسخ، لأنهم مجمعون على أنه لا يصار إلى النسخ إذا أمكن الجمع بين النصين. قال السيد رشيد رضا: هذا ما جرى عليه الأستاذ الإمام في تفسير الآية، وفي كتب التفسير عزيت مخالفة الجمهور إلى كبيرين من قدماء المفسرين وهما مجاهد وأبو مسلم، أما مجاهد فقد روى عنه ابن جرير أنه يقول: نزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتان، قوله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا} الآية، وقد تقدمت وهذه الآية، فيجب حمل الآيتين على حالتين، فإن اختارت الإقامة في دار زوجها المتوفى والنفقة من ماله فعدتها سنة، وإلا فعدتها أربعة أشهر وعشر، فيكون للعدة على قوله أجل متحتم وهو الأقل، وأجل مخير فيه وهو الأكثر.

وأما أبو مسلم فيقول: إن معنى الآية من يتوفى منكم ويذرون أزواجا، وقد وصوا وصية لأزواجهم بنفقة الحول وسكنى الحول، فإن خرجن قبل ذلك وخالفن وصية الأزواج، بعد أن يقمن المدة التي ضربها الله تعالى لهن، فلا حرج فيما فعلن في أنفسهن من معروف، أي نكاح صحيح، لأن إقامتهن بهذه الوصية غير لازمة، قال: والسبب أنهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا كاملا، وكان يجب على المرأة الاعتداد بالحول، فبين الله تعالى في هذه الآية، أن ذلك غير واجب على هذا التقدير، فالنسخ زائل. أورد الإمام الرازي هذا في تفسيره، ثم قال: "واحتج على قوله بوجوه، (أحدها): أن النسخ خلاف الأصل، فوجب المصير إلى عدمه بقدر الإمكان، و(الثاني): أن يكون الناسخ متأخرا عن المنسوخ في النزول (أي الأصل أن يكون الخ ولعل لفظ الأصل سقط من الناسخ أو الطابع) وإذا كان متأخرا عنه في النزول، كان الأحسن أن يكون متأخرا عنه في التلاوة أيضا، لأن هذا الترتيب أحسن، فأما تقدم المنسوخ على الناسخ في التلاوة، فهو وإن كان جائزا في الجملة، إلا أنه يعد من سوء الترتيب، وتنزيه كلام الله تعالى عنه واجب بقدر الإمكان، ولما كانت هذه الآية متأخرة عن تلك في التلاوة، كان الأولى أن لا يحكم بكونها منسوخة بتلك.

(الوجه الثالث): هو أنه ثبت في علم أصول الفقه، أنه متى وقع التعارض بين النسخ وبين التخصيص، كان التخصيص أولى، وههنا إن خصصنا هاتين الآيتين بالحالتين على ما هو قول مجاهد، اندفع النسخ، فكان المصير إلى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل. وأما على قول أبي مسلم، فالكلام أظهر لأنكم تقولون تقدير الآية: فعليهم وصية لأزواجهم، أو تقديرها: فليوصوا وصية، فأنتم تضيفون هذا الحكم إلى الله تعالى، وأبو مسلم يقول: بل تقدير الآية: والذين يتوفون منكم ولهم وصية لأزواجهم، أو تقديرها: وقد أوصوا وصية لأزواجهم، فهو يضيف هذا الكلام إلى الزوج، وإذا كان لابد من الإضمار، فليس إضماركم أولى من إضماره، ثم على تقدير أن يكون الإضمار ما ذكرتم، يلزم تطرق النسخ إلى الآية، وعند هذا يشهد كل عقل سليم، بأن إضمار أبي مسلم أولى من إضماركم، وأن التزام هذا النسخ

إلتزام له من غير دليل، مع ما في هذا القول بهذا النسخ من سوء الترتيب، الذي يجب تنزيه كلام الله تعالى عنه، وهذا كلام واضح، وإذا عرفت هذا، فنقول هذه الآية من أولها إلى آخرها تكون جملة واحدة شرطية، فالشرط هو قوله: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج}، والجزاء هو قوله: {فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف} (البقرة: ٢٤) فهذا تقدير قول أبي مسلم وهو في غاية الصحة" انتهى.

قال السيد رشيد رضا: "أوردنا كلام الرازي بنصه على إسهابه وإطنابه، لما فيه من تفنيد قول الجمهور، بالحجج البينة التي يقتنع بها أولو الألباب، وليعلم المقلدون أن في أشهر القرون الوسطى من ضعف ذلك القول، ورجح عليه كلا من القولين المخالفين له.

واعلم أن ما ذكره من جواز كون الناسخ متأخرا عن المنسوخ في التلاوة، هو ما قاله الأصوليون، وإطلاق القول فيه غريب، ما حملهم عليه إلا تصحيح فهمهم، لمثل هاتين الآيتين، أو اغترارهم بتفسير الجمهور لهما، وإذا سهل تسليم قولهم، بجواز وجود آيتين في سورتين، تنسخ إحداهما الأخرى، مع وجود الناسخة في السورة المتأخرة في ترتيب القرآن، فلا يسهل القول بأن آيات متناسقة في سورة واحدة، يجعل السابق منها ناسخا لما بعده، ويفهم من قوله: بوجوب تنزيه كلام الله تعالى عن مثل ذلك، أنه لا يجيزه، لأن الواجب في التنزيه يدخل في باب العقائد، فهو أبلغ من الواجب في الأحكام العملية، فكيف يسمى تركه جائزا، وإذا كان غير جائز، فهو البرهان القاطع على بطلان قول الجمهور بالنسخ.

بعد هذا كله أقول: إن قول مجاهد في الآية بعيد جدا، وإن فضله الرازي على قول الجمهور، ويرجح قول أبي مسلم أمران، أحدهما في العبارة: وهو جعل الذين يتوفون فيه على ظاهره، والجمهور يجعلونه بمعنى الذين تحضرهم الوفاة، كأن هذه الوصية لا تجب إلا على من يشعر بدنو أجله، وثانيهما: ما علم من عادة العرب في إلزام المرأة بيت زوجها المتوفى سنة كاملة، فلما جعل الإسلام عدتها أربعة أشهر وعشرا، كان من مقتضاه أن يخرجها الورثة من البيت بعد مضي العدة، فإذا كانت غير راغبة

في الزواج، يشق عليها ذلك، فكان من اللائق المتوقع من الزوج الوفي، أن يوصي بعدم إخراجها قبل الحول المعتاد جبرا لقلبها، وأن لا تكلف النفقة على نفسها، ما دامت في البيت، وقد بين الله تعالى للناس، أنه لا حرج على أولياء الميت وورثته فيما تفعله المرأة إذا هي خرجت من بينهم، لأن كفالتهم إياها تسقط حينئذ، من غير تقصير منهم في إكرامها، وإنما قيد الفعل بالمعروف، لأن منعها من المنكر واجب عليهم، فإذا قصروا فيه، كان عليهم جناح عظيم.

وهذا الوجه الثاني يتفق مع التفسير المختار عن الأستاذ الإمام، وهو أن الوصية للندب لا للوجوب، والوجه الأول يمكن التفصي منه بجعل الوصية من الله تعالى، لا من المتوفى، والتقدير على الوجه المختار: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية من الله لأزواجهم، أو فالله يوصي وصية لأزواجهم أن يمتعن متاعا ولا يخرجن من بيوت أزواجهن إلى تمام الحول، فإن خرجن من تلقاء أنفسهن، فلا جناح عليكم أيها المخاطبون بالوصية فيهم فيما فعلن من المعروف شرعا وعادة، كالتعرض للخطاب بعد العدة والتزوج، إذ لا ولاية لكم عليهن، فهن حرائر لا يمنعن إلا من المنكر الذي يمنع منه كل مكلف، وجعل الوصية من الله معهود في القرآن كقوله: "يوصيكم الله في أولادكم"، وقوله "غير مضار وصية من الله"، وهذا المتبادر من النظم الكريم، فهو أظهر من قول أبي مسلم ولا يعارض آية تحديد العدة، ولا آية المواريث، ولا حديث: لا وصية الوارث، فيتأتى فيه النسخ سواء كانت هذه الوصية للندب أو للوجوب، وما قلنا أنها للندب إلا لعدم شيوع العمل بها، كآية استيذان الولدان في سورة النور، ولا يمكن الجزم بأنه لم يعمل بها أحد البتة، إذ لم يطلع أحد من الخلق على جميع معاملات الناس في بيوتهم" انتهى.

عبيد الله المباركفوري الرحماني

المدرس بمدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلي

(فتاوى شيخ الحديث المباركفوري: ٢/٢٢٨-٢٩٥)

❖❖❖

الطريق إلى الإقلاع عن التدخين

(٢-٢)

أبو الحسن بن محمد الفقيه

لا تكن معمعيا!

والمعمعية هي اتباع الكثرة الغالبة، فأنت ملزم شرعا باتباع الله ورسوله، ومطالب عقلا بأن تكون مميزا بشخصيتك بين الناس بحكمة الرأي، واتزان القرار، ولو اقتضى ذلك أن تبقى منفردا وحدك بين كثير من ذوي النقد الهابط!

وكثير من الشباب والفتيات والكهول أيضا إنما انجرفوا مع تيار التدخين لأنهم معمعيون! فهم قد انبهروا بكثرة المدخنين، وأعجبوا بمنظر إمساك قضيب "التدخين" .. وتضجروا من انفرادهم بموقف الانعزال عن ذلك التيار فاستسلموا في النهاية لوباء التدخين وهم يعلمون أنهم على غير هدى!!

فـ"المعمعية" صورة من صور ضعف الشخصية وعلاجها يكمن في ترويض النفس عن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب دون النظر إلى واقع الناس الفاسد، ولا يمنع ذلك من الاستفادة من تجارب الناجحين واتخاذ القدوة الصالحة في أفعال صالحة!

كن عالي الهمة!

فعلو الهمة يرفعك من الدون والسفول .. وينزّهك عن الالتفات إلى القاذورات وصغائر الأمور، ويشغل نفسك بما ينفعها في دينها ودنياها.

"فكبر الهمة يجلب لك – بإذن الله – خيرا غير مجذوذ، ويجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل، فلا ترى واقفا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطا يديك إلا لمهمات الأمور" [1].

فكن رجلا رجله في الثرى   وهـامــة همتـه في الثريـا

---

[1] علو الهمة لمحمد أحمد إسماعيل المقدم ص ١٣٨.

٢ – علاج الوهم:

والوهم يعالج بالوقوف على حقيقة التدخين ونتائجه وآثاره، فليس الدخان بالدواء الشافي للاضطرابات النفسية، ولا هو بمسكن للانزعاج والغضب، ولا هو بمنشط نافع!

وإنما هو مادة مركبة من عناصر سامة يعمل بعضها على تنشيط الجسم بشكل ضئيل في المراحل الأولى، بينما تعمل باقي المواد على الفتك بأعضائه عضوا عضوا، وتتلاشى عملية التنشيط، لينقلب الجسم إلى حالة من العجز والفتور لا تزول بعض آثارها إلا بتحسي تلك المواد السامة! وهكذا يدمن الجسم كله على سم التدخين! فاحذر أن تتوهم في السم العلاج.

٣ – علاج الجهل:

والجهل أسهل علاجا من ضعف الشخصية والوهم، لأنه يرفع بالعلم والمعرفة، فإذا وقف المدخن على عواقب التدخين ومضاره في الدنيا والآخرة هرع بلا شك إلى تركه واجتنابه كما يجتنب سائر المضار والأخطار.

أيشعل عاقل بيديه نارا ليحرق نفسه في كل آن
سأهجوها بأشعاري وأبدي لها كرها ويشتمها لساني

فعلاج هذه الأمور الثلاثة هو جوهر العلاج النفسي وأساسه، ويبقى على المبتلى بالتدخين أن يطرق أسباب التوفيق لهذا العلاج، وهي: الاستعانة بالله سبحانه، والتوكل عليه، والدعاء والتضرع والذكر، والإخلاص في التوبة من التدخين، وسوف نتطرق لها إن شاء الله في نهاية هذا المقال.

٢ – العلاج المادي:

إن المدخن إذا دخل إلى مرحلة الإدمان استعصى عليه ترك التدخين ووجد صعوبة في الإقلاع عنه واجتنابه بالكلية.

وكثيرا ما يعزم بعض الأشخاص على ترك التدخين ويصدقون مع أنفسهم في ذلك، لكنهم ينهزمون ويهزلون أمام ثوران الأعصاب وتعطشها للتدخين .. فما السر في ذلك؟

والجواب ببساطة واختصار يكمن في اعتياد خلايا الجسم بما فيها الخلايا العصبية على مادة النكوتين التي تتسرب إلى تلك الخلايا عن طريق الدم.

فالدم حينما يضخ من القلب إلى الرئتين لنقل غاز الأوكسيجين وطرح غاز ثاني أوكسيد الكربون ينقل معه الغارات الدخانية التي يدخلها المدخن إلى جوفه ومن ضمنها النيكوتين، ومع تكرار عملية التدخين تتعود خلايا الجسم على هذا المنشط السام. وتجد هدوءها وفتورها في غذائه وكلما تأخر المدخن عن شرب الدخان تباطأت الخلايا عن أداء مهامها بالشكل المطلوب مما يولد الإحساس بالكسل والاسترخاء، وربما بألم بالرأس وقلة الانتباه، فإذا عاود التدخين عاد إليه نوع من النشاط .. وهذا ما يسمى بالإدمان! [1]

ومن هنا فإن علاج التدخين عن طريق الأدوية المادية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلاج بالدواء الموصوف من لدن الطبيب المختص.

القسم الثاني: التدرج في الإقلاع عن التدخين مع تعويض الدخان بغيره من المواد التي لا تضر.

القسم الثالث: التداوي بالعلاج العام الذي يصلح دواء لكل مرض. فكيف ذلك؟

١ – العلاج عن طريق تشخيص الحالة عند الطبيب المختص:

وهذا العلاج لا يمكن أن نتكلم عن تفاصيله الدقيقة في هذا الكتاب لأن لكل مريض حالته الخاصة، ولكننا سنظهر شيئا من أهميته وفائدته.

فالطبيب المختص يعاين حالة المدخن من سائر الجوانب، ويستطيع من خلال التشخيص ودراسة الأعراض أن يستنتج ما يلي:

١ – كشف الآثار التي خلفها التدخين على المريض ومدى خطورتها.

---

[1] ولذلك قال كنون في حاشية (شرح عبد الباقي على مختصر خليل) الأكثرون من المتأخرين على المنع الشديد منهم العالم المحقق أبوزيد سيدي عبدالرحمن الفاسي، حيث قال: إن الذي ينبغي اعتماده بلاثنيا، ويرجع إليه في صلاح الدين والدنيا، مع وجوب الإعلان والإعلام، والإشارة في جميع بلاد الإسلام: أن الدخان المذكور حرام الاستعمال، لاعتراف كثيرين ممن له تمييز وتجرية، بأنه يحدث تفتيرا وخدرا، فشارك أولية الخمر في نشوتها (انظر حكم الدين في اللحية والتدخين ص ٤٨).

٢ – كشف الأمراض الجانبية للمريض.

٣ – وصف الدواء المناسب للمريض وفق حالته الصحية، ومدى ملاءمة الدواء الكيميائي للمريض.

وغالبا ما يوصي الطبيب مريضه بالاعتماد على الصبر والعزيمة أكثر من اعتماده على الدواء، أو ينبهه إلى خطر الاستمرار على التدخين وعاقبته الوخيمة!

٢ – العلاج عن طريق البدائل المنشطة الخالية من الضرر:

فهناك أنواع من الأغذية التي تعطي للجسم حيوية ونشاطا تتلاشى معه نسبة عالية من الفتور في جسم المدخن في أيامه الأولى من انقطاعه عن التدخين.

ومن تلك الأغذية:

١ – غذاء ملكة النحل: فالنحل من الأدوية الهامة ولكن غذاء ملكة النحل له تأثير عجيب على حيوية الجسم ونشاطه، فهو من المنشطات الطبيعية التي تزيل الإرهاق والشعور بالتثاقل والإعياء، والمدخن حينما يقلع عن التدخين تتباطأ أعضاؤه ويصيبه الترهل والتأرض، فيحتاج حينئذ إلى ما يحفزه وينبه أعصابه ويقوي فيه الحيوية والانتباه.

ومثلها حبوب اللقاح، وكلما أكلت مختلطة بالعسل الطبيعي على فترات متفاوتة مع خلاء البطن كان مفعولها أقوى وأثمر!

٢ – المقويات: وأقصد بها الفيتامينات الطبيعية لا المستحضرة لاسيما فيتامين (س) للذين لا يشكون حموضة المعدة، أما الذين يشكونها ولا يزالون مصرين على التدخين فإنهم على خطر عظيم لأن التدخين بالنسبة لمن يشكو الحموضة يعني حدوث ورم سرطاني معدي خبيث، لا يعرف له الطب الحديث علاجا إلى اليوم!

وإن كان هذا المقوي لا يؤدي النشاط الذي يعوض عن التدخين لكن شربه بنسبة طيبة يخفف بلا شك حدة التعطش إلى التدخين.

أما "الفيتامينات" المستحضرة بكل أصنافها، فهي ضرر لا علاج، فكلها تحتوي على مواد متلفة لأعضاء الجسم ويتفاوت خطرها من مستحضر إلى آخر.

٣ – التعود على العادات البديلة: وذلك بالتمرس على فعل شيء مشابه لعادة التدخين في الوصف العام دون ضرر! كأكل المسكرات في البيت أو العمل أو السيارة، أو استعمال السواك أو نحو ذلك في الأيام الأولى.

لأن التعود على إمساك قضيب الدخان يولد حين الانقطاع عنه حالة من النقص في نفس المدخن ... فحتى وإن تناول غذاء منشطا طبيعيا يظل يشعر ببصيص من النقص يخالج باطنه ويوسوس في جوفه، وهذه الحالة أشبه ما تكون بالرضاع.

والنفس كالطفل إن شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

٣ – العلاج العام:

وهو العلاج بالأدوية التي ثبت نفعها في معالجة سائر الأمراض والأدواء وأهمها:

١ – الحبة السوداء:

فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام"[1].

فالحديث نص في أن الحبة السوداء شفاء من الأمراض عموما دون تخصيص، ومن تلك الأمراض: التدخين، ولا يخفى على أحد أن للحبة السوداء منافع عديدة وكثيرة جدا. ومتى ما أحسن المدخن استعمالها دون تفريط أو إفراط، متحينا الأوقات المناسبة مثل تناولها قبل الفطور بمدة، وتخليطها بالعسل تسهيلا لهضمها، أعطيت بإذن الله أكلها وثمرتها من النشاط والقوة وتصفية الجسم والدم من الأخلاط والخبائث!

٢ – العسل:

قال الله تعالى: {يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون} (النحل).

وقال صلى الله عليه وسلم: "الشفاء في ثلاث: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي" [2].

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

[2] رواه البخاري.

فهذه النصوص تدل على أن العسل من وسائل الشفاء العامة، فهو دواء لكل الأمراض بإذن الله. وقد ثبت علميا نفعه للجسم ودوره في تخليصه من الأخلاط والأمراض المزمنة، ومنها السرطان الذي استعصى على الأطباء علاجه [١].

فإذا تناوله المدخن عند انقطاعه عن التدخين باعتدال وحكمة ودوام على شربه معتقدا ما أودعه الله جل وعلا فيه من بديع صنعه وعجيب تكوينه، حتى جعله وسيلة لشفاء علل كثيرة، فلا شك أنه سيجد فيه نشاطه وقوته، وسوف يعينه على ترك التدخين، والتخلص من آثاره التي تعطشه إليه.

٣ – ماء زمزم:

فقد قال صلى الله عليه وسلم في ماء زمزم "إنها مباركة، إنها طعام طعم [وشفاء سقم]".[٢] وقال صلى الله عليه وسلم: "ماء زمزم لما شرب له"[٣].

قال ابن القيم: (وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله) [٤].

٤ – التداوي بالعنب:

فالعنب الطبيعي الطازج له الأثر الكبير على انتزاع الأخلاط من الجسم وإزالة تأثيرها في وقت وجيز، ولكن التداوي بالعنب له نتائج أفضل إذا اقتصر عليه الشخص القادر مع الماء دون أن يأكل شيئا آخر طيلة أيام قد تصل إلى أسبوعين أو أكثر، فحينئذ تظهر ثمرة تأثيره على تصفية الدم والأعضاء بوضوح .....

---

[١] انظر فوائد العسل في كتاب: زاد المعاد لابن القيم ٤ / ٥٠ – ٦٢، والطب من الكتاب والسنة للعلامة موفق الدين عبداللطيف البغدادي ص ١٢٩ – ١٣٦.

[٢] رواه مسلم، وما بين المعقوفتين رواه البيهقي والبزار، وإسناده صحيح.

[٣] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٨٨٣.

[٤] انظر زاد المعاد ٤ / ٣٩٤.

ولا ينبغي لمن ليس له قدرة على الصبر والتحمل أن يقدم على هذه الوسيلة إلا باستشارة طبيب متخصص، ولكن لا بأس بالإكثار من العنب مع الأكل لأيام، فلا شك أن تأثيره ملاحظ على كل حال.

ووجد أن الإكثار من العنب علاج للتدخين، لأن التدخين يترك رواسب عالقة في الجسم جميعها وهي نفسها سبب الإدمان ... والعنب له أثر مباشر في تصفية الدم والأعضاء من الأخلاط.

متى يعطي علاج التدخين أثره

يعطي علاج التدخين أثره إذا:

- استعان المدخن بالله سبحانه وصدق في التوجه إليه واعتقد اعتقادا جازما أن النفع والضر بيده وحده، وأن ما سواه أسباب مخلوقة قد أودع الله فيها أسرار الشفاء.
- وكذلك إذا توجه إلى الله سبحانه بالدعاء راغبا في عونه ومعيته، فإن الله سبحانه قادر على كل شيء، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون! ويستحسن أن يتحين المدخن أوقات الإجابة كإدبار الصلوات المكتوبة وبين الأذان والإقامة وفي جوف الليل الأخير .. وأن يتقيد بشروط الإجابة، ويجتنب موانعها!
- وأيضا إذا قوّى عزيمته، وتصبر حين انقطاعه عن التدخين، فإن حلاوة تركه لا تتم إلا بمرارة الصبر على اجتنابه في الأسبوع الأول.
- وإذا اجتنب المدخن كل ما يربطه بالتدخين سواء رفقته السيئة أو الأماكن التي يشيع فيها شرب الدخان.

هذا ونسأل الله أن يجنب أبناء المسلمين كل سوء ومكروه ..

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

❖❖❖

أعلام السنة

الشيخ المحدث محمد عبد الرحمن المباركفوري
حياته وأعماله

(٢)

الشيخ عبد الكبير عبد القوي المباركفوري
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

طلبه للعلم:

قد عرفنا فيما مضى أن بيت المحدث المباركفوري كان في تلك الآونة مدرسة صغيرة، يأوي إليها أبناء المسلمين من بلدة مباركفور وما يجاورها من القرى والبوادي لطلب العلم، فكان من الطبيعي أن تبدأ دراسته في بيته، فشرع في التعليم والقراءة في داره [1]، وعلى طريقة المسلمين في الهند بدأ بقراءة القرآن حتى ختمه نظرا وحفظا في صغر سنه، ثم اشتغل في تعلم اللغة الأردية والفارسية حتى انتهى منه في وقت قصير.

وفي ذلك الوقت كان من عادة العلماء المسلمين أنهم كانوا يشترطون على كل طالب يريد دراسة العلوم الشرعية والعربية إتقانه للغة الفارسية بالإضافة إلى اللغة الأردية التي يتعامل بها المسلمون في الهند، فجريا على هذه العادة أخذ في تعلم الأدب الفارسي بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى على والده الحافظ عبد الرحيم المباركفوري وعلى بعض علماء بلده، فنبغ فيها حتى فاق الأقران.

ولما فرغ من أخذ العلوم وجمعها من علماء بلدته كان لابد من خروجه من بلدته ليزيد في ثقافته وعلومه، فخرج وطاف على علماء الأمصار العديدة، وأخذ منهم العلوم العربية وغيرها من النحو والصرف والمنطق والفلسفة والعلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه وغير ذلك من علوم النقل والعقل.

وسوف نذكر إن شاء الله في الصفحات التالية كل من تتلمذ عليه من العلماء والمشايخ وما درس عليه من العلوم.

---

[1] ليس هناك ما يدل صراحة على السنة التي بدأ فيها دراسته.

رحلته في طلب العلم:

أما الآن فنرى من المناسب أن نذكر بعض رحلاته في طلب العلم والمعرفة وما تجشمه من متاعب السفر ومشقاته للورود على المناهل العلمية لإرواء غليله، فنجده رحمه الله تعالى بعد ما أتم الدراسة على والده وعلى علماء بلدته خرج إلى القرى والبلدان المجاورة، وطاف على العلماء والمشايخ والتقى بهم وتتلمذ عليهم وأخذ منهم العلوم والفنون. وعلى سبيل المثال نراه أولا خرج إلى قرية لا تبعد كثيرا عن بلدة مباركفور، وهي تسمى بـ "جيراج فور"، والتقى فيها بالشيخ سلامت الله الجيراجفوري (١٣٢٢هـ).

وسافر أيضا إلى بلدة "مئو"، وهي تبعد عن بلدته بنحو ٣٥ كيلومترا في ناحية الشرق، والتقى فيها بعد يد من العلماء الأجلاء وأخذ منهم العلم.

وقد سافر أيضا إلى: أعظم كره، وفريها، وغازي فور، والتقى في أخيرتها بالعالم الجليل الحافظ عبد الله الغازي فوري الذي كان له أثر بالغ في تكوين شخصيته العلمية كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

وأيضا قد سافر إلى دهلي عاصمة الهند، والتي كانت مركزا للعلوم والفنون في ذلك الوقت، وبالخصوص في علوم القرآن والحديث حيث إنه كان فيها بقية السلف وخاتمة المحدثين الشيخ الجليل السيد محمد نذير حسين الدهلوي، الملقب بصدق: "شيخ الكل في الكل"، والذي كان يقصده كل من يريد التخصص في علوم القرآن والحديث والتضلع فيها، من أنحاء الهند وأرجائها البعيدة والقريبة.[1]

ويحكى عن رحلته إلى غازي فور – وهي مدينة من مدن ولاية أترابرديش (الولاية الشمالية) في الهند، وهي مدينة قديمة ومشهورة، تبعد عن موطن المحدث المباركفوري بحوالي ستين كيلو مترا في ناحية الشرق، وكان فيها في ذاك الوقت مدرسة شهيرة تسمى بـ "جشمه رحمت"، وكان يقصدها طلبة العلم من أنحاء قريبة وبعيدة لما كان لها من سمعة طيبة في الأوساط العلمية، فيحكى أنه لما أراد السفر إلى هذه المدينة، وكان الدافع لهذا السفر ما سمعه عن هذه المدرسة وشهرتها مشى إليها على قدميه

[1] انظر لهذه الرحلات مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٨٩ – ١٩٠.

لقلة وسائل النقل، وحينما قطع النصف من الطريق أخذه التعب الشديد بالإضافة إلى أن زاده قد نفد، وكان من أثر التعب قد تورمت رجلاه، وهنا جاءه وقت الامتحان، وأراد الشيطان أن يلعب معه بدوره، فألقى في روعه أن يعود إلى حيث أتى، فبقي مدة طويلة في حيرة شديدة فإنه لم يدر ماذا يفعل في أمره، ولكنه في الأخير غلبت عليه رغبته الشديدة في طلب العلم، فعقد عزما جديدا على السفر، فأعانه الله تعالى حتى بلغ مقصده، ولما كان هو هكذا في حيرة وتردد في أمره وأحس بالجوع الشديد أتاه رجل غريب لا يعرفه، فأخرج له من الأرض شيئا قدمه إليه ليأكل، فلما أكله وجده لذيذ الطعم لم يسبق له أن أكل مثله قط.

وبهذه الطريقة خرج بتوفيق الله تعالى من هذا الامتحان بنجاح. [١]

قيامه بالتدريس في المعاهد الدينية:

حينما رجع المحدث المباركفوري من رحلاته إلى مختلف الأماكن والبلدان والتي ورد فيها على عديد من المناهل العلمية وأتى على كثير من الموارد الحديثية فاغترف من مائها العذب الزلال الصافي وأروى منه ظمأه، فهدأت نفسه إلى حد ما من غليله العلمي، فلما رجع من هذه الرحلات الطويلة إلى موطنه، وكان قد تجمع عنده من الكمالات العلمية والكنوز الدينية شيء وافر، لم يجلس بدون عمل، ولم يبخل على الناس بما حمل معه في سفره من نور العلم والمعرفة مما كانوا في حاجة ماسة إليه، بل قام في تبليغه إليهم أتم قيام، وبذل في أداء ما كان يجب عليه في هذا السبيل قصارى جهده، وسعى سعيا حثيثا في إرشاد الخلق وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وأسس أول مدرسة دينية سماها "دار التعليم" في بلدته مباركفور. [٢]

وما كان ذلك إلا لخدمة السنة النبوية وتجديد معالمها، واشتغل في هذه المدرسة بالتدريس والتعليم، ونصح الأمة بالقلم واللسان.

---

[١] حدثني بهذه القصة ابن أخيه الشيخ عبد السميع بن محمد شفيع المباركفوري وأخته التي هي جدّتي لأمي رحمهما الله، وانظر ذكر رحلاته في مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٨٩ – ١٩٠.

[٢] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٩٣.

ولم يقتصر على التدريس في هذه المدرسة فقط، بل خرج لهذا الغرض الجليل والمقصد النبيل إلى الأماكن التي رآها مناسبة ومحتاجة، إما على رغبته أو رغبة بعض شيوخه. فمن المدارس التي قام فيها المحدث المباركفوري بالتدريس والتعليم المدرسة العربية الواقعة في بلدة "بلرامفور" من توابع "غونده" التي هي في شمال الهند، ودرس فيها مدة، وكذلك درس في مدرسة "الله نغر" في تلك الناحية نفسها، ثم درس في مدرسة "سراج العلوم" الواقعة في "كوندؤبوندهيار" من توابع "غونده"، وهي أيضا في شمال الهند، وأقام فيها مدة طويلة لأجل التدريس والتعليم.

وكانت هذه المدارس الثلاث من المدارس التي أسسها المحدث المباركفوري بيده.[1]

ذهابه إلى "المدرسة الأحمدية" بـ "آره" وتدريسه فيها:

إن "آره" مدينة من مدن ولاية "بهار" المشهورة في الهند، قد أسس فيها أحد تلامذة الشيخ الجليل السيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوي رحمه الله، وهو الشيخ أبو محمد إبراهيم الآروي رحمه الله، وكان رئيس بلده، ومن العلماء الأفاضل هذه المدرسة، وجمع فيها مهرة العلوم والأساتذة المتقنين وأساتذة الفنون المتداولة بين القوم، وفوض إلى أستاذ الأساتذة الشيخ عبد الله الغازي فوري رحمه الله أمر رئاسة الأساتذة والمدرسين، وجعله رئيسهم، فبعد مدة لم يمتد طولها كتب إلى المحدث المباركفوري كتابا أمره فيه بالحضور إلى مدينة آره، ولم يفصح عن السبب الذي يدعوه لأجله ولا أشار إليه، ولما وصله هذا الكتاب لم يتأخر في تلبية دعوة شيخه الجليل، وأسرع إليه بكل ما أمكن، وحينما أتاه فرح به أستاذه المشفق ورحب به وأنزله مكرما، ثم فوض إليه مدير المدرسة أمر التدريس، وبقي على هذا المنصب إلى أن اختل نظام المدرسة وأغلق بابها بعد وفاة مديرها.

وقد تخرج على يديه في هذه المدرسة جماعة من العلماء حاملين لواء الكتاب والسنة، وانتشروا في البلاد والأمصار، وبلغوا إلى الناس دعوة الله تعالى ورسالته.[2]

---

[1] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٩٤، تذكرة علماء مباركفور: ١٤٨.

[2] انظر قصة ذهابه إلى "المدرسة الأحمدية" بـ "آره" مفصلة في مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٩٥ – ١٩٦.

وبما أن المحدث المباركفوري كان ممن يوصف بغزارة العلم والتقوى والزهد والورع، وينسب إلى معرفة الفقه والدين والأدب وغيرها من الأوصاف الحميدة كان الناس يدعونه في كل ناحية من البلاد للتدريس، مما جعله لا يقدر على تلبية دعوات جميعهم، وبناء عليه ما كان يذهب إلا إلى الأماكن التي يراها في حاجة ويحسبها حقلا جيدا لنشر الدعوة وتبليغها.

وكان ممن دعاه من الناس للتدريس والتبليغ مؤسس مدرسة "دار القرآن والسنة" ومديرها، فإنه دعاه للتدريس في مدرسة دار القرآن والسنة الواقعة في "كلكتا"، وقبل الشيخ المباركفوري دعوته بأمر شيخه الجليل الحافظ عبد الله الغازي فوري رحمه الله وإشارته، فدرس فيها دهرا طويلا ونفع خلقا كثيرا. [١]

وبعد ذلك لم يذهب إلى مكان للتدريس، بل لازم بيته واشتغل في التصنيف والتأليف إلى أن توفي رحمه الله تعالى، فكان ذلك آخر عهد به.

ولذلك لما دعاه ملك "المملكة العربية السعودية" عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله تعالى، وطلب منه أن يكون مدرسا لعلوم الحديث في الحرم المكي لم يستطع قبول دعوته، وقدم له اعتذارا، وكذلك رفض دعوة الشيخ عطاء الرحمن مدير مدرسة "دار الحديث الرحمانية" بدهلي لتدريس علوم الحديث فيها. [٢]

وذكر الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى في هذا الصدد ما يخالف ما أثبته قليلا، فإنه يقول:

"ودعاه الدهلويون حين عزموا على تأسيس دار الحديث في مكة شرفها الله إلى أن يكون رئيسا فيها، فأبى، ودعاه غيره من أصحاب المدارس، فأبى". [٣]

ولكن الصحيح هو ما أثبتناه من قبل، وذلك لأن الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله تعالى الذي كتب ترجمته الوافية في آخر مقدمة تحفة

---

[١] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٩٧، نزهة الخواطر: ٨ / ٢٤٢.

[٢] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٩٧.

[٣] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة ١٣٧.

الأحوذي، وله صلة أقرب وأكثر بالمحدث المباركفوري، أن الذي دعاه من المملكة العربية السعودية هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى.

وأن الشيخ عطاء الرحمن دعاه لتدريس علوم الحديث في مدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلي، وهذا هو المعروف لدى جميع الناس.

ومن الأمور التي تحتاج إلى إيضاح أن المحدث المباركفوري لما ترك الاشتغال بالتدريس في المعاهد الدينية والمدارس الإسلامية رسميا ولزم بيته لأجل التأليف والتصنيف لم يكن ليرد الوافدين عليه من طلاب العلم المتعطشين من أرجاء الهند القريبة منها والبعيدة، بل كان يرحب بكل من يأتيه من طلبة العلم لأجل الاستفادة والاغتراف من بحره، ويستقبله بحفاوة كريمة، لأنه كان صاحب بر وكرم وإيثار بطلبة العلم، كما تقدم قريبا من قول الأستاذ عبد الحي الحسني.

وسبق أن رأينا نموذجا من ذلك في قصة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى معه.

فإنه كان يود من أعماق فؤاده أن يودع ما تجمع لديه من العلوم والمعارف إلى تلاميذه ويحملهم هذه الأمانة الجليلة، فلذلك كان يعير عناية فائقة في التدريس والتعليم لمن يتوسم فيه النجابة والذكاء والاستعداد، ويولي له اهتماما كبيرا.

ومن أكبر الدليل على ذلك استقباله وترحيبه بكل من أتاه من طلبة العلم للأخذ عنه، حتى في أيامه الأخيرة التي اشتغل فيها بالتصنيف والتأليف، وتراكمت عليه الأشغال، بالإضافة إلى الأمراض التي أنهكت قواه.

كما نرى ذلك في قول الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله تعالى، فإنه يذكر في صدد سرده لقصة ذهابه مع والده إلى الشيخ المباركفوري ليأخذ عنه علم الحديث، فهو يقول:

"ولما أخذني والدي إليه وحضرنا عنده، وكان قد فقد بصره في ذلك الوقت فرح بنا فرحا شديدا بعد ما عرفنا، وعرض عليه والدي غرضه من هذه الزيارة في أسلوبه البدوي، فقبل طلبه بكل فرح وسرور على الفور بدون أن يصدر منه شيء مما ينبئ أن قبوله لهذا الطلب فيه أي كلفة أو مشقة عليه، مع أنه كان رجلا مشغولا بالأشغال

العديدة، فكان في إمكانه أن يعتذر بعذر الأشغال أو بعذر فقد البصر أو بأعذار أخرى من الأمراض وغيرها، ولكنه لم يفعل ذلك بل قال: أنا مستعد لأي خدمة ترونني أهلالها، وأنا كم أود أن يرث ما عندي من العلوم أحد من جيراني، وقال مشيرا إلي: فإذا كان الأخ مستعدا لهذا الأمر فهو جميل جدا، فكلامه هذا قد شجعني كثيرا". [١]

ثم مضى الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي قائلا:

"وبعد ذلك خرجنا من عنده على موعد بأن بداية الدرس ستكون من اليوم الثاني، وأنا أذكر جيدا أنني حينما خرجت من عنده شعرت بأن قلبي قد ألقيت فيه محبته بشدة لم أشعر قبل ذلك بمثلها لأحد من الناس غير الأستاذين الجليلين، أحدهما هو الشيخ عبد الرحمن النغرامي، والثاني هو أستاذي ومرشدي الشيخ حميد الدين الفراهي رحمة الله عليهما، فهؤلاء هم الثلاثة الذين أخذوا من قلبي مكانة عظيمة من الحب والولاء والتبجيل، وليس هناك رابعهم". [٢]

أسلوبه في التدريس:

قد تعرض الأستاذ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في مقالته بشيء من التفصيل لطريقته في إلقاء الدروس وأسلوبه في التدريس، فمن المناسب – أننا حينما جئنا لنذكر قيامه بالتدريس في المعاهد الإسلامية – أن نذكر شيئا عن طريقة إلقائه للدروس وأسلوبه في التدريس.

فذكر الأستاذ المذكور أنه قد وقع اختيار المحدث المباركفوري على كتاب سنن الترمذي بأن تكون الدروس أولا في هذا الكتاب، والذي كان هو في صدد تكميل شرحه في تلك الأيام، وبهذه المناسبة قد أعجبني اختياره لهذا الكتاب، بحيث إني سنحت لي الفرصة بأن أقرأ على المؤلف نفسه أكبر مؤلفاته.

وقد ذكر الأستاذ هنا مناقشة جرت بينه وبين الشيخ المباركفوري، لأن الأستاذ كان يريد أن يتعلم منه الحديث وعلومه ويأخذ منه طريقة فهم الحديث، بينما كان المباركفوري يظنه من الذين يريدون الإجازات من شيوخ الحديث ويأخذون أسانيدهم

---

[١] انظر مجلة "المنير" الأسبوعية، ١٤ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ.

[٢] انظر مجلة "المنير" الأسبوعية، ١٤ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ.

بعد قراءتهم عليهم بشيء من أطراف كتب الحديث، لأنه وجده قد قطع شوطا كبيرا في دراسة اللغة العربية وعلومها، وسبق له أن درس الحديث أيضا، فلا يبقى له هم إلا في أخذ الإجازة والسند على طريقة كثير من طلبة العلم.

وبناء عليه أراد المحدث المباركفوري منحه إجازة الرواية عنه بأعلى أسانيده وأقربها، ولكنه لِمَا رأى منه الجد والصدق فيما يظهره من قوله بأنه يرغب في تعلم الحديث وطريقة فهمه رضي بذلك، واختار له سنن الترمذي ليكون درسه فيه.

ويقول الأستاذ:

"لما بدأ في تدريسه رأيت منه من الاهتمام البالغ والاستعداد الكامل ما جعلني أتيقن بأن قوله بمنح إجازة الرواية لم يكن إلا اختبارا منه وامتحانا ليتأكد هل أنا من الذين يريدون فقط إجازة الرواية عنه والانتظام في سلك تلاميذه على صفة رسمية لا غير، فيسعفني بمقصودي بحيث يعطيني إجازة الرواية عنه بأعلى أسانيده، ولما تأكد بعد إصراري وإلحاحي بأنني لا أرغب إلا في طلب الحديث وأخذ علومه رضي بإلقاء الدروس علي في الحديث وعلومه بكل فرح ورغبة وشوق، وأعطاني في تدريسي من أوقاته الغالية ما لم يخطر في بالي، مع أنه كان مشغولا في ذلك الوقت بتكميل كتابه "تحفة الأحوذي" ومع ذلك تكرم علي بكل سخاء وجود بمنحه إياي من أوقاته شيئا كثيرا لم أكن أتصور من رجل مشغول مثله". [1]

وبعد ذلك بدأ الأستاذ في إلقاء بعض الأضواء على طريقته وأسلوبه في التدريس فقال:

"الأسلوب الذي اختاره المحدث المباركفوري في تدريسه إياي للحديث كان في غاية من الإتقان والإحكام والإفادة، وقد نبهني على مطالعة كل درس وقراءته بدقة وعناية قبل أخذه منه، وكان يلقي علي كل يوم درسا في سنن الترمذي ثلاث ساعات متوالية، ثم يطالبني بالبحث والتنقيب عن رجاله ساعة كاملة، فكان يأخذني بعد هذا العمل الشاق تعب شديد، وكنت قد أحضر في درسه في كل صباح من مسافة

---

[1] انظر مجلة "المنير" الأسبوعية.

ميلين أقطعها على رجلي، فكنت أحاول الخروج من درسه بسرعة، ولكن لم أسمعه قط يشتكي هو من التعب أو كثرة الأشغال.

وأيضا طلب مني ترجمة الرسالة المشهورة في مصطلح الحديث "نخبة الفكر" باللغة الأردية، وألزم علي أن تكون ترجمتها بلغة فصيحة صحيحة، ولا تكون كلماتها أكثر من كلمات الأصل، وكان الكتاب بنفسه في نظري لغزا من الألغاز، فالقيام بترجمته أمر صعب، وبسبب الشروط التي اشترطها علي المحدث المباركفوري ازداد الطين بلة، ومع هذا فإني قمت بترجمته، ولما رآها الشيخ استحسنها".

ومضى قائلا:

"وإن البحث والتحقيق عن رجال الترمذي ورواته والقيام بترجمة نخبة الفكر باللغة الأردية كنت أظن أنهما لا يمتّان بصلة إلى ما أتلقى منه من الدرس والعلم، بل كنت أزعم بسبب الإعجاب بنفسي أن الشيخ المباركفوري يستعين بي في تصنيفه، وأيضا كان موقفه من هذه الأعمال بصورة توحي بذلك، ولكن لم تمض على ذلك مدة قليلة حتى انكشفت الحقيقة وتبينت بأن هذه الأعمال كلها من تدريسي وتعليمي، حيث إن المحدث المباركفوري أراد أن ينور بصري في الحديث وعلومه، فشغلني في آن واحد في دراسة متن الحديث وسنده وأصوله، وألقى على كتفي مؤنة البحث والتنقيب والتحقيق تحت إشرافه ورعايته، لكي أتمكن بسرعة ممكنة من الخوض في فن الحديث بطرقه المختلفة، وفي الحقيقة كان من تأثير هذا الأسلوب الجيد في التدريس أني بعد مدة يسيرة بدأت أشعر في نفسي بأنني سوف أتمكن كليا من هذا الفن الجليل، ولكن مع الأسف الشديد لم أستطع مواصلته لمدة طويلة لسبب كثرة الأشغال التي أنهكت قواي، فعجزت عن ذلك". [١]

تأسيسه عدة مدارس:

قد سبق أن عرفنا في الصفحات التي مضت أن المحدث المباركفوري حينما انتهى من دراسته وفرغ من تحصيل الكمالات العلمية وجمع الكنوز الدينية علم أنه حمل على كتفيه مسؤولية كبيرة وأمانة جليلة تجاه المسلمين، لو صدر منه أي تقصير أو

[١] انظر مجلة "المنير".

تساهل في أداء هذه المسؤولية العظيمة أو دفع هذه الأمانة الجليلة إلى أصحابها ليسأل عنه أمام الله تعالى.

وعلى ذلك كرّس جهوده وتفانى في الدفاع عن الإسلام وإحياء السنة النبوية المطهرة، كما واصل ليله بنهاره في محاربة البدع والخرافات والجهل، ورأى لذلك إنشاء المدارس الدينية وتأسيس المعاهد الإسلامية من أكبر الوسائل وأحد الأسلحة التي تستخدم في الدفاع عن الإسلام وإحياء السنة المطهرة وفي محاربة الجهل والفساد، لأن هذه المدارس الدينية والمعاهد الإسلامية هي التي تتمكن من بناء جيل إسلامي نزيه، وإخراج دعاة صالحين لا تأخذهم لومة لائم في الدعوة إلى الله تعالى.

ولذلك نرى الأخ صلاح الدين مقبول يقول عنه في مقالة له نشرها عن حياة المحدث المباركفوري في مجلة "الجامعة السلفية":

"كان العلامة .... تواقا إلى إرساء المدارس الدينية لبناء جيل إسلامي نزيه". [١]

فالمحدث المباركفوري أسس عدة مدارس إسلامية ومعاهد دينية، أكثرها لا تزال قائمة ومستمرة على نفس الخطة التي رسمها لها، ومن هذه المدارس:

١ – المدرسة العربية "دار التعليم" الواقعة في بلدة مباركفور، وهي أول مدرسة أسسها المحدث المباركفوري بعد تخرجه وفراغه من الدراسة. [٢]

وأما بالنسبة للسنة التي تم فيها تأسيسها فيقول القاضي أطهر المباركفوري:

"إنه قد فرغ من دراسة جميع العلوم والفنون المتداولة سنة ١٣١٣ هـ، وفي تلك السنة نفسها أسس مدرسة دار التعليم". [٣]

وأيضا يقول الأخ صلاح الدين مقبول أحمد في مقالته السابق ذكرها:

"أنشأ دار التعليم سنة ١٣١٣هـ، وأرسى قواعدها كبناء مستقل ١٣٢٩ هـ هو والعلامة أبو الهدى عبد السلام المباركفوري". [٤]

---

[١] مجلة "الجامعة السلفية" بنارس، الهند صفر ١٣٩٧هـ، ص ٦٤.

[٢] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ١٩٣، نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٢.

[٣] تذكره علماء مباركفور: ١٤٨.

[٤] مجلة "الجامعة السلفية" بنارس، الهند صفر ١٣٩٧هـ، ص ٦١.

ولكن الأستاذ صفي الرحمن المباركفوري رحمه الله يستبعد بل يخطيء في رسالة له كتبها إلي أن تكون هذه السنة سنة تأسيس دار التعليم، فهو يقول:

"إنه من المعلوم أن المحدث المباركفوري أسس هذه المدرسة بعد تخرجه وفراغه من الدراسة، وكان تخرجه من مدرسة المحدث الكبير السيد محمد نذير حسين الدهلوي في سنة ١٣٠٦ هـ، وبناء عليه تكون هذه السنة هي سنة تأسيس مدرسة دار التعليم".

ثم تعرض لما بنى عليه القاضي أطهر المباركفوري قوله، وهو أن المحدث المباركفوري أخذ في سنة ١٣١٣ هـ عن الشيخ محمد المجهلي شهري الإجازة في علوم الحديث، فيقول الأستاذ صفي الرحمن رحمه الله:

"إن أخذه عن الشيخ المجهلي شهري إجازة الرواية لم يكن إلا كما يأخذ كثير من العلماء عن بعض أجلة المحدثين الكبار بعد قراءتهم عليهم لشيء من كتب الحديث الإجازات في الحديث وعلومه حتى في أيام تدريسهم، وهذا لا يعني أنهم يعدون الطلاب في الاصطلاح المعروف، وحينما أخذ المحدث المباركفوري إجازة الرواية عن الشيخ المجهلي شهري في سنة ١٣١٣ هـ كان قد تخرج من مدرسة المحدث الجليل محمد نذير حسين لفظا ومعنى وجلس على مسند التدريس".

٢ – ومنها: مدرسة "سراج العلوم" الواقعة ببلدة "كوندؤ بونديهار" بمديرية "غونده" وهي أكبر المدارس في تلك الناحية. [١]

وذكر الأخذ صلاح الدين مقبول في مقالته أن تأسيس هذه المدرسة كان في ١٣٢٥هـ. [٢]

٣ – ومدرسة عربية في بلدة "بلرامفور". [٣]

---

[١] مقدمة التحفة ٢ / ١٩٤، نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٢، تذكره علماء مباركفور: ١٤٨.

[٢] مجلة "الجامعة السلفية" بنارس: ٦١.

[٣] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ١٩٤، نزهة الخواطر: ٨ / ٢٤٢، تذكره علماء مباركفور: ١٤٨.

٤ – ومدرسة عربية في بلدة "الله نغر" من مديرية "غونده" سابقا، وكان ذهابه إلى هذه البلدة على دعوة من رئيس البلدة ليدرس بها، فانتقل من "بلرامفور" إليها، وأقام بها سنة ١٣٢٩ هـ وأسس المدرسة. [١]

٥ – وأيضا كان تأسيس مدرسة "سراج العلوم السلفية" بـ "جهندانغر" في دولة "نيبال" على ثغر الهند على إيماء منه سنة ١٩١٤ م، وكان يقول عن هذه المدرسة:

"وأود أن تكون هذه المدرسة في القرى بمثابة دار الحديث الرحمانية بدهلي في مدن الهند". [٢]

اشتغاله بالأعمال الأخرى:

١ – الدعوة والتبليغ:

إن الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى لم يقتصر على القيام بالتدريس والتعليم في المعاهد الإسلامية فقط، بل خرج في الناس يدعوهم إلى الله تعالى على بصيرة، ويرشدهم إلى الصراط السوي والهدى المستقيم وإلى اجتناب المنكرات والخرافات، ويحذرهم من الجهل والفساد والطغيان، واستخدم في دعوة الناس وإرشادهم أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة وأسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، ولذلك نجح في دعوته بتوفيق من الله تعالى نجاحا لا يعرف له مثيل بحيث إن منطقة كبيرة من مناطق الهند الشمالية اهتدت على يديه إلى طريق الحق والرشد، وخرجت بتوفيق من الله تعالى وتأييد منه من هوة عميقة من الجهل والفساد والشرك والخرافات بعد أن كانت غارقة فيها، وهذه المنطقة هي التي كانت تعرف بـ "بستي" و "غونده"، فصارت المنطقة التي عاشت مدة غير يسيرة في الجهل والفساد والظلام الحالك بجهوده المتواصلة ومساعيه الجميلة تتلألأ فيها آثار السنة النبوية حتى في عوام الناس بعد أن لم يكن فيها أحد يعرفها.

وكان المحدث المباركفوري قد بذل قصارى جهده في إصلاح هذه المنطقة ودعوتها وإرشادها بحيث إنه طول حياته كان يذهب إليها حينا بعد حين، ويتجول في

---

[١] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ١٩٤، مجلة "الجامعة السلفية": ٦١، تذكره علماء مباركفور: ١٤٨.

[٢] مجلة "الجامعة السلفية" ٦١، التعريف بمدرسة سراج العلم بجهندانغر: ١٤.

القرى والبوادي يلقي في الناس دروس الوعظ والإرشاد، ويبين لهم أركان الإسلام، ويوضح لهم مسائل الزكاة والعشر نظرا لأنهم أصحاب أراض وفلاحة. [١]

ولا تزال توجد إلى يومنا هذا بعض الآثار لجهوده التي بذلها في هذه الناحية، وبما سعى فيها لأجل الإصلاح والإرشاد سعيا حثيثا، وتحمل صعوبة الدعوة فيها، أخذ في قلوب الناس من العلماء والعوام مكانة مرموقة بحيث إنهم يقدرونه كل تقدير ويكنون له إلى هذا اليوم من الحب والمودة ما لا يوجد له نظير إلا نادرا.

ومما يدل على حبهم ومودتهم له أنهم يمسكون بنواجذهم على المسائل التي وضحها لهم ولا يصغون إلى خلاف ما بينه لهم.

٢ – التأليف:

استخدم الشيخ المباركفوري في دعوة الناس وإرشادهم قلمه، كما استخدم لسانه، فألف مؤلفات جليلة ممتعة، وضح فيها بعض المسائل التي كان الناس في حاجة إلى بيانها في ذلك الوقت، كما ذب فيها عن السنة النبوية، وأزاح تلبيسات الجهال وطعن المعاندين، وسوف نذكر إن شاء الله تعالى في مبحث مستقل جميع مؤلفاته بشيء من التفصيل.

٣ – الإفتاء:

بما أن المحدث الدهلوي الشيخ محمد نذير حسين رحمه الله تعالى كان من دأبه تدريب تلاميذه الناشئين على كتابة الفتاوى مع تدريسهم الكتب الدراسية، فمن الضروري أن يكون هو أيضا من الذين تدربوا على كتابة الفتاوى تحت إشراف شيخه المحدث الدهلوي، وكيف لا يكون وهو من أنجب تلاميذه وأخصهم، فكتب كثيرا من الفتاوى في أثناء إقامته عنده، ومما يدل على ذلك أن ما جمع من فتاوى المحدث الدهلوي (مع أن أكثرها أضاعتها يد الحدثان، وطبع في مجلدين بعد وفاته) توجد فيها بعض الفتاوى التي كتبها المحدث العظيم آبادي والمحدث المباركفوري. [٢]

---

[١] انظر: "التعريف بمدرسة سراج العلوم بجهندانغر" ص ١٣.

[٢] حياة المحدث شمس الحق العظيم آبادي وأعماله ١٩ – ٢١ (وانظر على سبيل المثال "فتاوى نذيرية" ٢ / ٧٧، ١٨٣).

ومما يدل على براعته في الإفتاء أن الشيخ العلامة شمس الحق العظيم آبادي أمره بجمع الفتاوى المتفرقة لشيخهما المحدث الدهلوي، فجمعها، وأضاف إليها فتاواه في بعض المواضع ورتبها بشكل تأليف في مجلدين كبيرين، كما جمع في أواخر عمره فتاوى شيخه عبد الله الغازي فوري ورتبها على الأبواب الفقهية. [١]

وتوجد منها نسخة خطية عند الشيخ أبي الفضل عبد السميع المباركفوري رحمه الله تعالى ونسخة في مكتبة الجامعة السلفية.

وأيضا كتب فتاوى أخرى كثيرة ما بين مطول ومتوسط ومختصر يعسر عدها، فإنه بسبب مهارته بالفرائض وعلم المواريث كتب فيها فتاوى لا تعد ولا تحصى. [٢]

وأيضا كان الناس يأتون إليه من قريب وبعيد بما طار صيته لأجل تقدمه في العلم والمعرفة وصلاحه وورعه، ويعرضون عليه مشاكلهم في الأمور الدينية ويريدون منه حلها، فكان يقوم رحمه الله تعالى بحل مشاكلهم، دون أن يفرض عليه ما يراه صوابا في المسألة. وهذا يدلنا على ما كان يتصف به من عدم التعصب المذهبي. [٣]

وبناء على ما كان يتمتع به من صلاح وورع وتقدم في العلم كان كثير من الشيعة يعتمدون عليه في المسائل التي يوضحها لهم اعتمادا أكثر من علماء مذاهبهم، كما ذكره الأستاذ صفي الرحمن المباركفوري في رسالته إلي.

وكان في إفتائه كثير الاحتياط والتوقي والتأني، ذا تدبر غائر وإمعان عميق في المسائل الواردة عليه، وكثيرا ما يعرضها على أصحابه والعلماء الواردين عليه للزيارة، ويباحثهم فيها ويغوص ويخوض في جميع شعوبها وغصونها، كما كان كثير الأدب مع السلف الصالحين والأئمة المقتدين. [٤] بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى الذي يراه الناس، وهو تقليد أحد من الأئمة الأربعة – مع كثرة الأئمة الذين خدموا الدين وقدموا للإسلام جهودهم المخلصة – وعدم الخروج عن قوله قيد شعرة.

(يتبع)

❖❖❖

---

[١] مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ٢١١.

[٢] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ٢١١.

[٣] انظر مجلة "المنير" الأسبوعية.

[٤] انظر مقدمة تحفة الأحوذي ٢ / ٢١٣.

التعليم والتربية

العودة إلى الكتاتيب

د. سوسن عبد الكريم بونقيشة

الكتاتيب، يتعلم الطفل فيها النطق السليم، وآيات القرآن الكريم، إذا لم نقل إنه يختم فيها القرآن الكريم ويحفظ فيها نصيبا لا بأس به من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتربى قلبه فيها على محبة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فهي تنمي في داخل الطفل عقيدة سليمة، وجملة من المبادئ والأخلاقيات الإسلامية التي ترسخ في الذهن، ولا تنسى مهما تباعد الزمن، إننا نتعلم فيها صفة اللباس الشرعي والحشمة وعدم الاختلاط، فتكون الصفوف الأولى للذكور، والأخرى للإناث. ونتعلم فيها حب اللغة العربية والاعتزاز بها وبر الوالدين، وكيفية الدعاء والذكر، وكيفية الصلاة والوضوء، وكيفية احترام وإجلال المؤدب وطاعته. فهو المثال الأعلى والقدوة. ولقد استبعدت الكتاتيب منذ زمن بعد أن حلت محلها رياض الأطفال التي غزت بلداننا مخلفة في القلب حسرات .. إنها نسخة مصغرة من رياض الأطفال الموجودة في البلدان غير الإسلامية، مما يجعلنا نصدم بواقع مرير، نعم، لقد طال الغزو الفكري والتغريب أطفالنا بكل مساوئه، وبكل ما يحمله من فراغ روحي وأخلاقي، فالطفل فيها حر طليق، يقضي طيلة الوقت في اللعب واللهو والرقص المختلط، ويركز اهتمامه على الثياب والزينة والحفلات والأكل الجاهز ... فهو حتى وإن تعلم فيها بعض الآيات، يبقى حفظه غير مستجيب للتلاوة الصحيحة في النطق والأحكام، وهي سرعان ما تتلاشى من ذهنه، لأنها في الأخير ليست محور اهتمامه، لأن رياض الأطفال محور اهتمامها هو اللعب والترفيه، استجابة للنظريات الغربية في تربية الأطفال ... فيخرج منها الطفل، وقلبه متعلق بكل ما تربى عليه.

إن وجود مختصين في العلم الشرعي يوجهون الطفل في مرحلة مبكرة من حياته يضمن لهذا المجتمع شابا ورجلا متمسكا بدينه، ويضمن لنا طالبة وزوجة وأما

متمسكة بدينها، لأن شحذ الشخصية يبدأ في مرحلة مبكرة. فالاهتمام بالطفل منذ التنشئة الأولى أمر ضروري، صار من اللازم أن ننتبه إليه، وأن نعلم خطورة الاقتباس من الغرب على أبنائنا، إنه تقليد أعمى لمجتمع يعيش أزمة أخلاقية على كل المستويات.

لقد أصبحنا اليوم نتحدث عن مشكلات عجيبة غريبة، تفتك بأطفالنا وبشبابنا، كالانجذاب إلى الراقصات والمغنيات والممثلات ... ثم تقليد هؤلاء، وكالإعجاب والمثلية التي بدأت تظهر في مجتمعاتنا منذ سن مبكرة ...

فإعادة النظر في مناهجنا وفي كوادرنا أمر أصبح حتميا، فلا يكفي أن تعرف المربية مثلا قواعد علم النفس، وكيفية صنع الدمى والأشياء الفنية، حتى تتأهل لتربية الأجيال. شتان بين هذه الشروط ونظيرتها في الكتاتيب، حيث كانوا يشترطون في المؤدب أو المؤدبة أن يكون من أهل الصلاح المشهود لهم بذلك، زيادة على الإتقان لتلاوة كتاب الله المجيد وحفظه، وشروط أخرى أدبية، مثل اشتراطهم أن يكون المؤدب متزوجا، ولقد كانت الدولة تشرف عليها من خلال المحتسب، من حيث أنظمته، ويسهم الفقهاء في تنظيم مناهجها. وقد ألفت كتب كثيرة في هذا الشأن [1].

ولقد أتى كتاب "آداب المعلمين" مثلا، على كثير من المسائل المتعلقة بالمعلمين، وما يجب عليهم نحو تعليم الصبيان وتأديبهم، حتى يسلموا من تبعات السؤال عمن استرعاهم الله تعالى [2].

ولعلي أتساءل: لماذا لم تتعالَ أصوات الدعاة والباحثين المهتمين بالشأن الديني إلى إرجاع هيبة الكتاتيب التي تعد ظاهرة مفيدة في المجتمعات الإسلامية؟ هل نسينا مكانة الكتاتيب دينيا وتاريخيا وثقافيا وإنسانيا؟ لقد كانت الكتاتيب من الإنجازات التي يفتخر بها المسلمون، والتي حبذها أولياء أمور الأطفال، واطمأنوا بها على المستوى التعليمي لأبنائهم وبناتهم وعلى تربيتهم، على مر التاريخ، وتجدر الإشارة

---

[1] انظر كتاب "آداب المعلمين"، تأليف العلامة والفقيه أبي عبد الله محمد بن سحنون فقيه المغرب وابن فقيه المغرب عبدالسلام سحنون ابن سعيد التنوخي، القيرواني، شيخ المالكية (ت ٢٥٦هـ).

[2] المصدر الالكتروني: http://elmalikia.blogspot.com .

إلى ما ورد عن مجمع الفقه الإسلامي من قرارات داعية إلى أسلمة المناهج التعليمية [١]، مما يدعو جديا إلى وقفة حاسمة وموضوعية، لتقييم التجارب الموجودة في مجتمعاتنا.

ويجب ألا ننسى أننا نعيش في زمن الصحوة الإسلامية، حيث استفاق المسلمون على كوارث البديل الغربي الذي تبنته الدول والشعوب، وظنت أنه المنقذ من التخلف ومن الأزمات، فقد أصبح لزاما علينا اليوم أن نقف لمراجعة الذات، هذه الهوية المهددة، ولنتخلص من النظرة الدونية للأشياء الأصيلة، فالأغلبية ينظرون إلى الكتاتيب وكأنها تراث يجب أن نحييه في لوحة أو في صورة من صور الاحتفالات بيوم التراث الوطني .. في حين نتناسى أن العودة إلى الأصل فضيلة، وإحياء لسنة من السنن المندثرة، وقد كان الصبيان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون. فعن ابن عباس: "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم" (أي المفصل)[٢].

"وقد ظل المسجد النبوي على مدى تاريخه الطويل المنهل العذب والمدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطلاب العلم والتعليم، وتخرجت منه أجيال عديدة من أبناء المدينة والمسلمين كافة، وبقيت ساحاته وجوانبه زاخرة بحلقات العلم حتى الآن، وبالكتاتيب حتى فترة متأخرة من القرن الرابع عشر الهجري، وذكر الشيخ جعفر فقيه في حديثه عن التعليم في المدينة المنورة في بداية القرن العشرين، وبحدود عام ١٣٢٥هـ أن عدد الكتاتيب في المسجد النبوي كان ستة كتاتيب. وذكر ناجي الأنصاري في كتابه "التعليم في المدينة المنورة" أن عدد الكتاتيب بالمدينة المنورة في عام ١٣٤٩هـ ثلاثة كتاتيب أميرية في داخل المسجد النبوي الشريف، ومجموع التلاميذ بها (١٢٥) تلميذا،

---

[١] قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عمان) ١٤ – ١٩ المحرم ١٤٢٥ هـ، الموافق ٦ – ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٤م، قرار رقم ١٣٨ (٤ / ١٥) من موقع: www.fiqhacademy.org.sa/qrarat .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، رقم ٥٠٣٥، ص ٤٣٦ من موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٠م.

وعدد المعلمين فيها (٦) معلمين. كما ذكر عثمان حافظ في كتابه "صور وذكريات" أن عدد الكتاتيب في المسجد النبوي الشريف في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م كان (٨) كتاتيب، وموقعها في الجهة الشمالية من المسجد. وقد تعطلت بسبب الحرب العالمية الأولى ...

ومنذ عام ١٣٧٣ هـ أخذت هذه الكتاتيب سواء داخل المسجد النبوي أو في المدينة تتلاشى شيئا فشيئا .. ولم يبق من هذه الكتاتيب في المسجد إلا حلقات لتعليم القرآن الكريم، وحلقات أخرى لدروس العلم" [1].

إننا إذا قمنا بإلغاء الكتاتيب وقعنا في مشكلة التغريب. وإن اختزلنا وظيفتها في تحفيظ القرآن الكريم فقط، فقد وقعنا في إقصاء حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر ضروري. وكذا تعلم الوضوء والصلاة وسائر العبادات والأخلاقيات الإسلامية فضلا عن اللغة العربية وحذقها ... وما من شأنه أن يكون له وقع في توجيه ملكات الطفل إلى ما يحبه الله ويرضاه.

فالحل الأنسب هو تطوير الكتاتيب التقليدية، بتحديث آلياتها، وإدخال تعديلات تناسب الفترة المعيشة، من تقنية حديثة وأساليب معاصرة، حتى تتمكن الكتاتيب الحديثة من إثبات وجودها.

وفي هذا الصدد تحضرني التجربة التونسية، حيث قاموا بتفعيل دور الكتاتيب فوجهوا المختصين من الشريعة إلى العمل في الكتاتيب، بعد أن أسندت لهم الدولة دورة تدريبية مطولة في تكوين المؤدبين، تتضمن كل ما يحتاج له المربي للتعامل مع الأطفال وفهمهم. كما يوجد في هذه الدورة تدريب للمؤدب والمؤدبة على التقنية الحديثة، وعلى الألعاب المدروسة لتنمية الشخصية وتثبيت الهوية .... فنراهم قد أدخلوا جانب اللعب (فسحة، مسرح الظل عوض عروض الأزياء وما تخلفه من تبلد، توجيه نحو القصص الصغيرة، وتحبيب الأطفال في المطالعة، وتوجيه كذلك نحو القصص الإسلامي ..).

---

[1] مقال عنوانه: "الكتاتيب" يحتفظون بحضورهم في المسجد النبوي جريدة الرياض بتاريخ ٥ رمضان ١٤٢٩ هـ = ٥ سبتمبر ٢٠٠٨م، العدد ١٤٦٨٣.

أما عن المادة العلمية، فقد بقيت على ما هي عليه من تعليم الطفل التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، وتحفيظه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعليمه اللغة العربية والحساب والرسم ... وما أضافوه هو دمج الحاسوب في العملية التعليمية، ومبادئ اللغات الأجنبية، كما أدمجوا السنة التحضيرية، فأسندوها للمؤدب مباشرة قبل دخول الطفل إلى السنة الأولى من التعليم الابتدائي.

كما وفرت الدولة من جانبها كتاتيب مجهزة، عادة ما نجدها محاذية للمساجد، فتعرف الكتاتيب بأسماء المساجد التابعة لها، وهو نظام متجذر في تاريخ البلاد، كما أضافت الدولة دعما ماديا للمؤدب والمؤدبة، وتركت لهم مجالا لأخذ أجورهم من الأولياء حسب مقدار محدد لكل طفل، حتى تضمن للمؤدب الحياة الكريمة، إيمانا منها بالدور الذي يقدمه للمجتمع، كما هيأت الكتاتيب لعدد معين، حتى تضمن الأداء الجيد وأخضعتها لسلطة إشراف، فهي تابعة لوزارة الشؤون الدينية، يزورها من حين إلى آخر الوعاظ الدينيون، حتى يراقبوا سير العمل عن قرب. هذا على المستوى التنظيمي والمنهجي. ويبقى المؤدب خاضعا لدورات تدريبية، كلما اقتضت الحاجة، وقد لوحظ بعد فترة قصيرة من تطبيق هذه التجربة إقبال متزايد على الكتاتيب من الأولياء، وانجذاب لها من الأطفال، واستحسان لها من المجتمع، لم تشهده البلاد من قبل [1].

هذا وتجدر الإشارة إلى أننا في زمن اخترق فيه المسلمون، وتداخل فيه الحلال والحرام، وأصبح القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر. واعلم أيها المكرم أنه إن صلحت العقيدة استقامت حياة الإنسان كلها. وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصول العقيدة أولا لصحابته رضوان الله عليهم، فكانت الفترة المكية بمثابة وضع الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية، بفضل الله ومن بعده رسوله صلى الله عليه وسلم.

❖❖❖

---

[1] مقال عنوانه: برنامج إصلاحي متكامل لمنظومة الكتاتيب في تونس، نشر في أخبار تونس، بتاريخ: ٩/ ٨ / ٢٠٠٩م.

من أخبار الجامعة السلفية

انتهت في الجامعة السلفية اختبارات الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ٣٦ - ١٤٣٥ هـ = ١٥ - ٢٠١٤ م في يوم الخميس: ٨ / شعبان ١٤٣٦ هـ = ٢٨ / مايو ٢٠١٥م، وكانت قد بدأت يوم السبت: ٢٦ / رجب ١٤٣٦ هـ = ١٦ / مايو ٢٠١٥م واستمرت إلى أسبوعين، تخللها عطلة يوم الجمعة. وقد خصص أسبوع كامل قبل موعد الاختبار للمراجعة والمذاكرة، حيث توقفت فيه الدروس في الفصول، والطلاب قاموا بالمذاكرة والمراجعة للمقررات في هذه الفترة، وكانوا يراجعون إلى المدرسين عند احتياجهم إلى ذلك. وقد عقدت الاختبارات في خمس قاعات واسعة في المبنى المركزي للجامعة، وهي: (١) مسجد الجامعة (٢)القاعة الواقعة تحت المسجد (٣) الدور الثاني للمسجد (٤) قاعة المحاضرات الواقعة تحت المكتبة المركزية (٥) قاعة دار الحديث. وتم تشكيل خمس مجموعات للمدرسين لمراقبة الاختبارات، حيث إن كل مجموعة كانت تقوم بالمراقبة في قاعة واحدة دوريا.

وقد شارك في هذه الاختبارات نحو ألف طالب من مختلف المراحل الدراسية، منهم نحو (٢٥٠) طالبا قدموا من المدارس التابعة للجامعة من مختلف ولايات الهند، حيث إن الطلاب الدارسين في السنة الثانية للثانوية في هذه المدارس يختبرون في كلا الاختبارين: النصفي والسنوي في داخل الجامعة السلفية مع سائر الطلاب. وبعد إحراز النجاح في هذا الاختبار يستحقون لمواصلة الدراسة بمرحلة العالمية في الجامعة السلفية.

وبعد الانتهاء من الاختبارات غادر الطلاب المقيمون الجامعة إلى أوطانهم وأسرهم، وواصل المدرسون أعمالهم في تصحيح أوراق الاختبار وإعداد النتائج. وبدأت إجازة المدرسين والموظفين من يوم السبت: ١٧ / شعبان ١٤٣٦ هـ = ٦ / يونيو ٢٠١٥م. وهذه هي إجازة صيفية، تتبعها إجازة شهر رمضان وعيد الفطر، وتفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي الجديد في يوم الاثنين: ٩ / شوال المكرم ١٤٣٦ هـ = ٢٧ / يوليو ٢٠١٥م بإذن الله تعالى.

❖❖❖